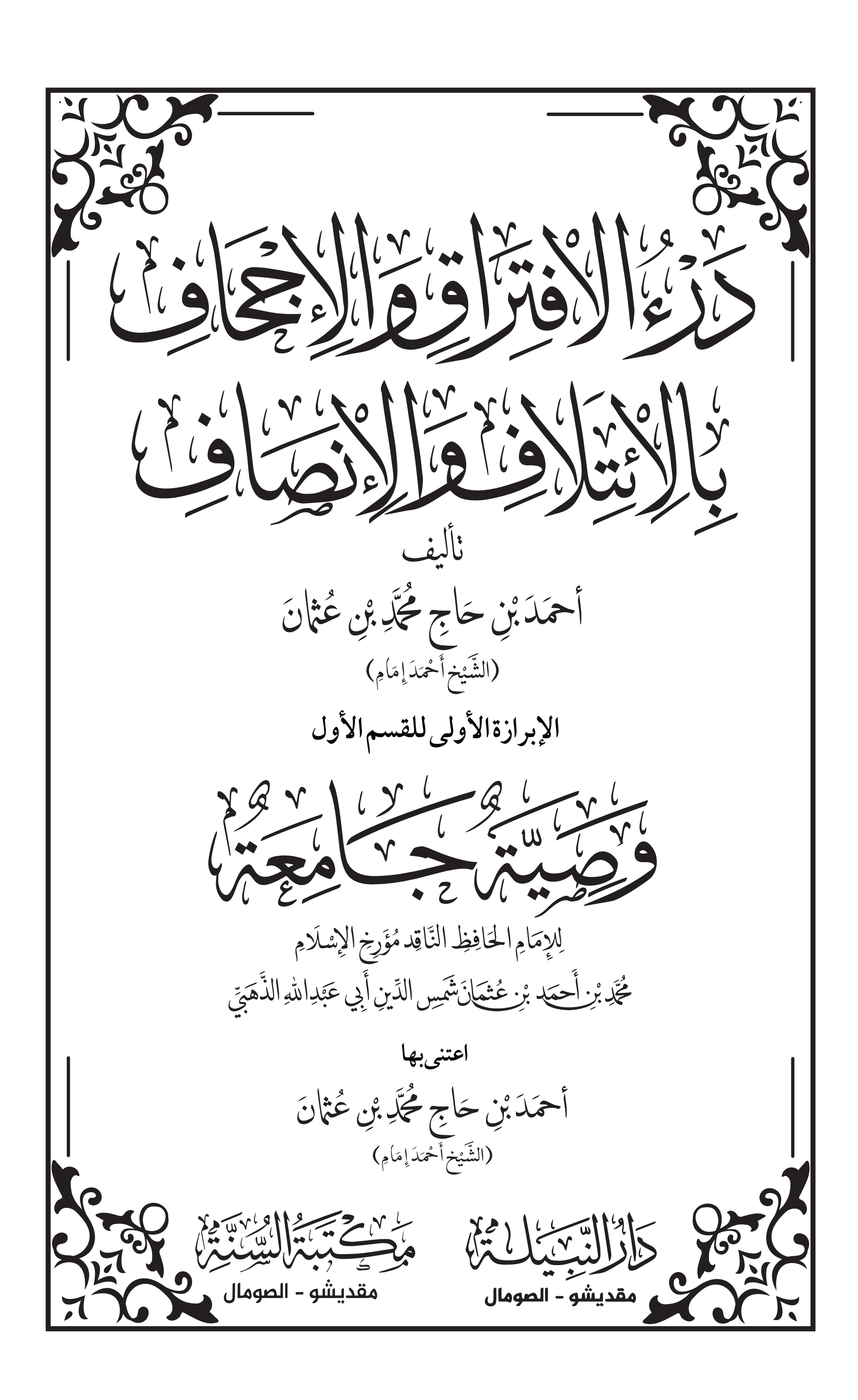


دَرْءُ الافْتِرَاقِ وَالإِجْحَافِ بِالائْتِلَافِ وَالإِنْصَافِ

تأليف

أحمد بن حاج محمد بن عثمان

(الشيخ أحمد إمام)

الإبرازة الأولى للقسم الأول

وَصِيَّةٌ جَامِعَةٌ

للإمام الحافظ النّاقد مؤرخ الإسلام

محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين أبي عبد الله الذهبي

اعتنى بها

أحمد بن حاج محمد بن عثمان

(الشيخ أحمد إمام)

مكتبة السنة
مقديشو - الصومال

دار النبيلة
مقديشو - الصومال




عنوان الكتاب : دَرء الافتراق والإجحاف بالائتلاف والإنصاف

تأليف: أحمد بن حاج محمد بن عثمان (الشيخ أحمد إمام).

ويليه: وصية جامعة للإمام الحافظ الذهبي

اعتنى بها: الشيخ/ أحمد بن حاج محمد بن عثمان (الشيخ أحمد إمام)

عدد الصفحات : ١٩٤

مقياس الصفحة : ١٧سم × ٢٤سم

سنة الطباعة : ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

بلد الطباعة : مقديشو - الصومال

الطبعة : الأولىٰ

جميع الحقوق الملكية محفوظة

يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تصدير الكتاب كاملا



الناشر : مكتبة السنة للنشر والتوزيع والطباعة

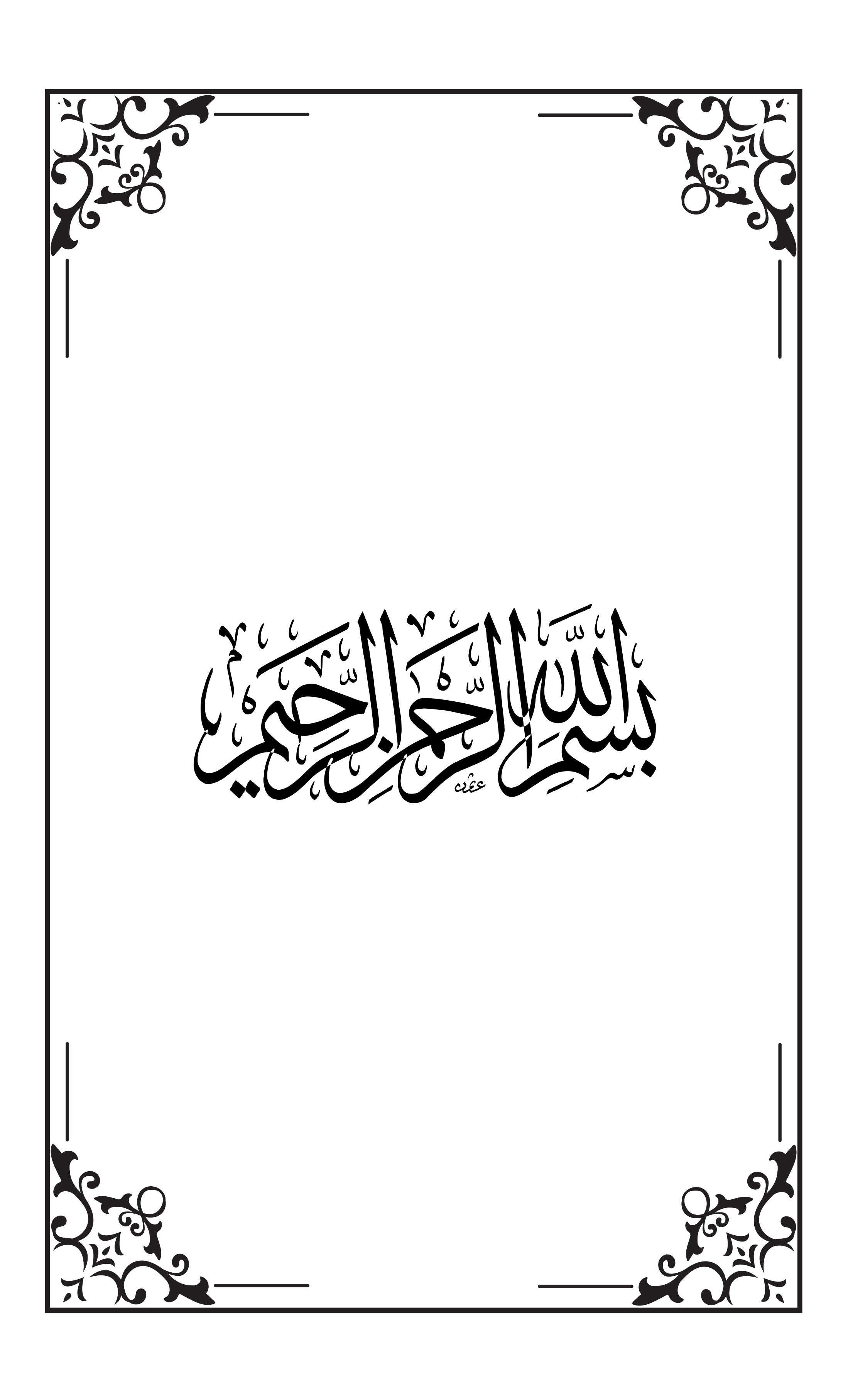
مقديشو - الصومال - سوق بكارو - بجوار مسجد أبي هريرة

للتواصل والاستفسار:

0612022225 / +252612022224

600030 / 6538307499686




بسم الله الرحمن الرحيم

✍ ....

✍ ....

وألَّا يخالَّ أحدًا إلا أحدًا خالَّه لله ممن يفعل الخُلَّة في الله تبارك وتعالى، ويرجى منه إفادة علم في دين، وحسن أدبٍ في الدُّنيا، وأن يعرف المرء زمانه، ويرغب إلى الله تعالى ذكره في الخلاص من شرِّ نفسه فيه، ويمسك عن الإسراف من قولٍ أو فعلٍ في أمرٍ لا يلزمه، وأن يُخلص النيّة لله فيما قال وعمل، وأن الله يكفيه مما سواه، ولا يكفي منه شيءٌ غيره.

الإمام الشافعي

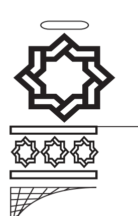
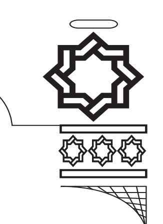
✍ ....

إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف. وقال لنا في القرآن: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وربنا واحد وكتابنا واحد ونبينا واحد، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف.

ابن تيمية

✍ ....

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، واستنَّ بسنَّته إلى يوم التناد، وسلم سلاما كثيرا.

أما بعد؛ فنحن نعلم مواقع أقدامنا في هذا العالم الفسيح الذي يَعُجُّ بالمتناقضات، ويميد باختلاف الظاهر والباطن، هذا العالم الذي تُسَمَّى فيه الأشياء بغير أسمائها، ويُخَوَّنُ فيه الأمين، ويُؤتمن فيه الخائن، ويُصدَّق فيه السفيه، ويُكذَّب فيه الحكيم، ويُسمع فيه الرُّويبضة، ويُعرضُ فيه عن النَّاصح، ويُجهَّلُ فيه العالم، ويُرفَع فيه الجاهل، ويستعلي عِيٌّ باقله على بيان قُسِّهِ، وبخل مارده على سخاء طائيِّه.

نحن - بفضل الله ورحمته - ننتسب إلى أهل السنة والجماعة، إلى أهل الحديث والأثر، إلى السلف الصالح، نَتَبَيَّنُ السنة ونستوضحها، ونتعلم منها ما جهلنا اعتقادًا وقولًا وعملًا، ونحاول الاقتداء بها ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، ونحن في غنى - بحمد الله - أن نستلهمها غلاة أفكار، أو أوهام جفاة، ولا نُسَنِّنُ أفكارهم ولا أوهامهم، ولسنا بحاجة - بكفاية الله سبحانه وتعالى - إلى أن نتلقنها من أمثالهم، فليسوا هنالك، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه.

قال أبو علي الوراق رحمه الله: من جهل قدر نفسه عدَّل على نفسه، وعدَّل على غيره، وآفة الناس من قلة معرفتهم بأنفسهم[١].

ونبرأ إلى الله جل جلاله من غلوّهم في التبديع، ومن اجترائهم على التجريح، كما نبرأ أيضًا إلى الله جل جلاله من تبديع أحد من علماء أهل السنة والجماعة من أمثال العالم الجليل والأستاذ النبيل من خيرة علماء الحديث والسنة المحضة: الشيخ الشريف عبدالنور بن الشريف حسن ابن الشريف آدم المقبولي، رحمه الله رحمة واسعة، وتقبَّله في عداد العلماء الربَّانيين.

ونَحْذَرُ ونُحَذِّرُ من ظلم الناس في عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ونرى أنَّ إخراج النَّاس من السنَّة بالغُلو فيها من ظلم النَّاس في عقائدهم، ومرتع الظلم وَبِيْءٌ.

ولا نشغل الناشئة من طلبة العلم عن التفرغ لتحصيل العلم بنهش الأعراض، ولا نُجرِّئ العامة وأشباه العامة على هتك الأستار باسم الغيرة على السنَّة، وإنما هي تَسْنِيْنُ الأفهام والأوهام.

ونُوجِّه وجهتنا إلى نقد الأفكار الخاطلة، والممارسات الخاطئة، وأصحاب البدع الحقيقية الظاهرة دون الموهومة الصِّرْفة، غيرةً على ديننا السماوي أن يختلط به دين أرضيٌّ حتى يبقى نقيًّا صافيا كما أنزله الله سبحانه وتعالى على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه الدين الذي

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/ ٣٦٠).

أظهره الله على سائر الأديان، وينصر أهله ويُعزُّهم في الدنيا، ويسعدهم في الآخرة.

فإن اعتدى علينا معتدٍ، فنَحَّلنا نِحْلة لم نتقلَّدها، أومقالة لم ندَّعها، أوألصق بنا أسماء لم نَتسَمَّ بها، أوتجاوز ظاهر حَدِّ الألفاظ إلى اعتقاد لافظها.. شكوناه إلى جبَّار السموات والأرض الذي يحاسب على مثاقيل الذَّرِّ، ويُجازي عليها، ويشمل عدله البهائم والجمادات، وكفى بالله ناصرًا للمظلومين مُنتقمًا من الظالمين، والله الموعد.

روى الإمام أبوبكر الشافعي بسنده عن بكر بن سوادة أن أبا سالم الجيشاني حدثه: أن ثابت بن طريف استأذن على أبي ذرٍّ، فسمعته[١] رافعا صوته يقول: «أما والله لولا يوم الخصومة لَسُؤْتُكِ، قال ثابت: فدخلت، فقلت: ما شأنك يا أبا ذر؟ قال: هذه. قلت: وما عليك إن رابتك تضربها؟ قال: والذي نفسي بيده، أونفس محمد بيده، لتسألن الشاة فيما نطحت صاحبتها، وليسألن الجماد فيما نكب أصبع الرجل»[٢].

وللأمور وللأعمال عاقبة فاخش الجزا بغتة واحذره عن مَهَلِ

هذا، وقد رأيت أن أجمع في هذه الرسالة محاور في الترغيب في أسباب الائتلاف، وفي الترهيب عن أسباب الافتراق، وما يَمُتُّ إلى ذلك بسبب، وسميتها بـ«**درء الافتراق والإجحاف بالائتلاف والإنصاف**»

(١) يعني قال ثابت: فسمعت أبا ذر.

(٢) الغيلانيات.

وهي في قسمين: القسم الأول أدرت الكلام فيه على مقدمة وسبعة عشر محورًا وخاتمة وملحق في «**وصية جامعة**» من مخطوطة نادرة للإمام الحافظ مؤرخ الإسلام محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين أبي عبد الله الذهبي.

وسأتبع إن شاء الله إصدار القسم الثاني منها تحقيق «**رسالة في الحث على اجتماع المسلمين والنهي عن افتراقهم**» للعلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السِّعدي.

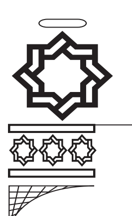
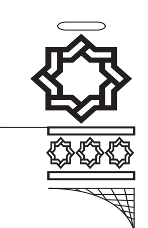
وكتبه

أحمد بن حاج محمد بن عثمان

(الشيخ أحمد إمام)

لعشرين خلت من ذي القعدة، عام ألف وأربعمائة وثلاثة وأربعين.



المحور الأول
ضبط مَن أهل السنة، ومَن أهل البدع

أولى تلك المحاور تحديد مَن أهل السنة والجماعة المحضة، ومن أهل البدع والأهواء؛ لمعرفة مسافة الحوار بين أهل السنة فيما بينهم من جهة، وفيما بين أهل السنة والجماعة، وبين أهل البدع من جهة أخرى؛ فإن ضبط هاتين المسألتين في غاية الأهمية، بحيث إذا لم يتم فيهما التفاهم والتقارب يقع تناكر وتباعد تلقائيا فيما ينتج عنهما لضرورة الاختلاف في الفروع تبعا للاختلاف في الأصول.

ولا شك أنَّ هاهنا أهل سنة وجماعة، وأهل بدع وأهواء، ومن العدل الذي قامت به السموات والأرض =تمييز الحق من الباطل، والسنة من البدعة، حتى لا تضيع معالم هذا الدين، وحتى لا يختلط الحابل بالنابل، والمسيء بالمحسن، وكل من السنة والبدعة له جذور ضاربة في العمق، وامتداد إلى فجر الإسلام.

وتلك أزمة موبقة، ومعضلة مهلكة، ومما زاد الطين بِلَّة، والداء علة =ضياع مفهوم أهل السنة والجماعة، ومفهوم أهل البدع والأهواء، وضياع أمثل طريقة للتعامل مع كل من الصنفين من أهل السنة والحديث، وأهل البدع والأهواء في كل زمان ومكان، لدى كثرة كاثرة من المنتسبين إلى

طلب العلم الشرعي، والدعوة إلى الله، فلنأخذ ضبط هذه المفاهيم من المالك لناصية البيان لمثل هذه الدقائق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ موضحا مفهوم السني، والمبتدع: «لفظ «أهل السنة» يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول: إنَّ القرآن غير مخلوق، وإنَّ الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة»(١).

وقال أيضا: وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر، والسواد الأعظم.

وأما الفرق الباقية.. فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفرقة الناجية، فضلا عن أن تكون بقدرها، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة.

وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع. فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة(٢).

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢١) وفيه إناطة كون المرء من أهل الحديث والسنة بإثبات أصول أهل الحديث والسنة اعتقادا وعملا، ولا يفقد هذا اللقب بفقد شريحة من شرائح السنة فضلا عن توهم السنة، والبدعة.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٦).

وقال أيضا: «والبدعة» التي يُعَدُّ بها الرجل من أهل الأهواء =ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب، والسنة، كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة[١].

وقال أيضا: من خالف الكتاب المستبين، والسنَّة المستفيضة، أوما أجمع عليه سلف الأمة، خلافا لا يعذر فيه[٢] .. فهذا يُعامل بما يعامل به أهل البدع[٣].

۞ إيقاظ:

هاهنا مرضان يفتكان بصاحبهما: مرض الشبهة، ومرض الشهوة، فمرض الشبهة يدعو إلى التعبد لله بالبدع، ومرض الشهوة يدعو إلى اقتراف المعاصي، ومرض الشبهة في الغالب يراود مرض الشهوة عن نفسه.

وليست البدع والمعاصي على نمط واحد، بل هي دركات، بعضها أسفل من بعض، فلا يقال لكل من وقع في بدعة: مبتدع، كما لا يقال لكل من وقع في معصية: فاسق، وقد جعل الله لكل شيء قدرا.

فالتفسيق بالمعاصي يناط بالمعاصي الكبائر، أوالإصرار على الصغائر.

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤١٤).
(٢) ما أدق فهم الشيخ، وأعظم هذا القيد! والخلاف الذي لا يعذر فيه الخلاف بعد ظهور العلم ووضوح الحجة.
(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٧٢).

قال الصحابي الجليل عبد الله بن العباس رضي الله عنهما: «لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار» فالتبديع كذلك، إنَّما يكون بمخالفة أصل من أصول أهل السنة والجماعة، لا ببدعة جزئية، فضلًا عن الأوهام والأهواء.

وقد جاء في ألسنة بعض الأئمة: البدع المكروهة، كما جاء عنهم وصف بعض الأقوال أوالأفعال: بأنها مكروهة. فهل حمل كل كراهة على كراهة التحريم، أوالبدعة على بدعة محرمة =ضربة لازب.

قال شيخ الإسلام عن بعض العبادات التي اقترن بها شيء من البدع: لا ريب أنَّ من فعلها متأولًا مجتهدًا، أومقلدًا كان له أجر على حسن قصده، وعلى عمله من حيث ما فيه من المشروع، وكان ما فيه من المبتدَع مغفورًا له، إذا كان في اجتهاده أو تقليده من المعذورين، وكذلك ما ذكر فيها من الفوائد كلها إنما حصلت؛ لما اشتملت عليه من المشروع في جنسه: كالصوم، والذكر، والقراءة، والركوع، والسجود، وحسن القصد في عبادة الله، وطاعته ودعائه، وما اشتملت عليه من المكروه.. انتفى موجبه بعفوالله عنه؛ لاجتهاد صاحبها أو تقليده، وهذا المعنى ثابت في كل ما يذكر في بعض البدع المكروهة من الفائدة.

لكن هذا القدر لا يمنع كراهتها، والنهي عنها، والاعتياض عنها بالمشروع الذي لا بدعة فيه[١].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٠٠).

وقال الإمام الذهبي: البدعة المذمومة لابد أن تندرج في القسم المذموم محرمة كانت **أو مكروهة**، كما أن السنة المحبوبة مندرجة في القسم المحمود[١].

وقال الإمام أبوإسحاق الشاطبي رحمه الله: إنَّ البدع المحدثة تختلف، فليست كلها في مرتبة واحدة في الضلال، ألا ترى أن بدعة الخوارج مباينة غاية المباينة لبدعة التثويب بالصلاة التي قال فيها مالك: «التثويب ضلال»؟

وقد قسم المتقدمون البدع إلى ما هومكروه، وإلى ما هومحرم، ولوكانت عندهم على سواء.. لكانت قسما واحدا[٢].

ولم أعلم إلى الآن أنَّ أحدًا من كبار المحدثين من نُقَّاد الآثار ومُزكِّي الرواة جرح أحدًا من الرواة ببدع قولية، أوفعلية، بل كان عامَّة الجرح عندهم منصبًّا على البدع الاعتقادية.

قال الشيخ العلَّامة المحقق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله: البدعة التي جَرَت عادتُهم بالبحث عن صاحبها عند الكلام في العدالة =هي البدعة في الاعتقاديات وما بُني عليها أوأُلْحِق بها.

وأهلُ العلم مختلفون في هذا الضرب من البدعة، أيكون جرحًا في عدالة صاحبه؟ والذي يظهر لي أنه ينبغي أولاً النظر في أدلة تلك

(١) جزء في التمسك بالسنن (ص١٩).
(٢) كتاب الموافقات (٥/ ١٩٦).

المقالة، ثم في أحوال الرجل، وأحوال عصره، وعلاقته بها، فإن غلب على الظن - بعد الإبلاغ في التثبُّت والتحرّي - أنه لا يخلو في إظهاره تلك المقالة عن غَرَض دنيوي من عصبية، أو طَمَع في شهرة، أو حبّ دنيا، أو نحوذلك.. فحقّه أن يُطْرَح، وكذلك إن احتمل ذلك احتمالًا قويًّا بحيث لا يغلب على ظنِّ العارف به تبرئته ممّا ذُكِر.

وإن ظهر أنه إنّما أداه إليها اجتهادُه، وابتغاؤه الحقَّ، وأنه حريص على إصابة الحق في اتباع الكتاب والسنة، فلا ينبغي أن يُجْرَح بمقالته، بل إن ثبتت عدالتُه فيما سوى ذلك، وضبطُه، وتحرِّيه، نُظِر في درجته من العلم والدين والصلاح والتحري والتثبُّت. فإنْ كان عالي الدرجة في ذلك احتجَّ به مطلقًا[1].

وقال العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: إذا كان هذا المخالف يخالف نَصًّا، أولًا: لا يجوز اتباعه، وثانيًا: لا نُبَدِّع القائل بخلاف النَّصِّ وإن كنا نقول: إنَّ قوله بدعة.

وأنا أفَرِّق بين أن تقول: فلان وقع في الكفر، وفلان كفر. وكذلك فلان وقع في البدعة، وفلان مبتدع، فأقول: فلان مبتدع، مش معناه وقع في بدعة، وهومن شأنه أن يبتدع؛ لأن مبتدع اسم فاعل.

هذا كما إذا قلنا: فلان عادل. ليس لأنه عدل مرة في حياته، فأخذ هذا اسم الفاعل.

---

(١) مجموع الرسائل الحديثية (٤٣).

القصد أنَّ المجتهد قد يقع في البدعة – ولا شك – لكن لا ألومه بها، ولا أطلق عليه اسم مبتدع. هذا فيما إذا خالف نصًّا[١].

سبحان الله! يحصر الشيخ البدعة بمخالفة النص، ثم لا يولد من البدعة المبتدع! فماذا نقول عن إنسان يصيح بأنه على منهج الشيخ الألباني، فإذا خالفت رأيه الفطير انتقم منك، واختار لك آلم اسم عنده: مبتدع، مع أنَّه ليس هاهنا حديث عن بدعة، ولا مبتدع إطلاقًا، فالله المستعان على غربة الدين.

وقد يُخَيَّل إلى بعض المتحذلقين المنتحلين لنفسه السنَّة، الناحلين لغيره البدعة أنَّ إقامة الحجة على مُبَدَّعه على طرف الثمام، وأنَّه لا غضاضة عليه من إطلاق اسم المبتدع عليه بعد إقامة حجته حسب رأيه. فهل الأمر هكذا بهذه السهولة؟

قال الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: نرى اليوم كثيرًا من إخواننا الناشئين في الدعوة أنَّهم قد أصيبوا بشيء من الغرور، وشيء من دعوى المعرفة والعلم، فلذلك أنا لا أعتقد أنَّ كل طالب علم، بل لا أعتقد أنَّ كل عالم – فضلًا عن طالب العلم – يستطيع أن يقيم الحجة على خصمه مهما كان هذا الخصم عريقًا في الضلال؛ لأنَّ طالب العلم، بل العالم – ولنقل: السلفي – قد يكون في عقيدته سليمًا، لكن لا علم عنده بالحجج التي تبطل دعوى المبتدع المخالف إلَّا في[٢] عنده بعض

---

(١) سلسلة الهدى والنور (٨٥٠) الوجه الثاني.

(٢) هذه لهجة الشيخ، ولوجُعلت بدل «في» «أنَّ».

الأشياء اطمأنَّ هو في الأول لصَّحة العقيدة بها وبغيرها، ثم بقيت لديه قليل من كثير من تلك الأدلّة، فهوحينما يقدمها لمن يخالفه من المبتدعة =يظنُّ أنَّه قد أقام الحجَّة، وليس الأمر كذلك[١].

وقال الشيخ أيضا - بعد أن تكلَّم عن معنى حديث: «من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما» -: لكن أريد أن أُلحق به فأقول: من بدَّع مسلمًا: فإما أن يكون هذا المسلم مبتدعًا وإلا فهوالمبتدع، وهذا هوالواقع الذي قلته لكم آنفًا أن شبابنا يبدِّعوا[٢] العلماء، وهم الذين وقعوا في البدعة، ولكنهم لا يعلمون، ولا يريدون البدعة، بل هم يحاربونها[٣]، لكن يصدق عليهم قول من قال قديمًا:

أوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا يا سعد تورد الإبل

لذلك نحن ننصح شبابنا أن يلتزموا العمل بالكتاب والسنة في حدود علمهم، ولا يتطاولوا على غيرهم ممن لا يُقرنون بهم علمًا وفهمًا وربما وصلاحًا[٤].

وأقرَّ الشيخ رحمه الله كلام من قال له: «إن أحكام هذه المسائل من التمييز بين البدعة والمبتدع وما يلحق بذلك لا ترجع إلى أحداث الأسنان، بل

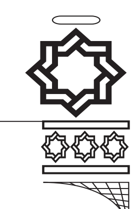
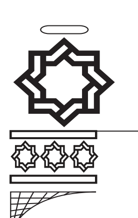
---

(١) سلسلة الهدى والنور (٧٥٤).
(٢) يعني يبدعون.
(٣) يعني الشباب.
(٤) شريط «ما هي البدعة ومن هوالمبتدع» الوجه الأول.

ترجع إلى أهل العلم والتقوى الذين يحكمون في البدعة والمبتدعة؛ ذلك لأن معظم أحداث الأسنان لا يفرقون بين أنواع البدع وطبقات المبتدعين، ولا يدركون المصالح والمفاسد، ولا يفهمون مقاصد الشريعة»[١].



(١) سلسلة الهدى والنور (٧٩٥) الوجه الأول.

المحور الثاني
الدعوة إلى تأليف القلوب، وتبعيد الفرقة

من مسلَّمات الدين ومحكمات الشرع الدعوة إلى الألفة والتحابب بين المؤمنين، والتحذير من الفرقة والتباغض والتدابر فيما بينهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

قال الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر أبوعبد الله القرطبي: إن الله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة[١].

وامتنَّ الله سبحانه وتعالى على عباده بالتأليف بين قلوبهم فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

وروى الشيخان من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله**».

روى الإمام أبوالقاسم اللالكائي عن الإمام الحسن البصري: يا أهل السنَّة، ترَفَّقوا رحمكم الله، فإنَّكم من أقلِّ الناس[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٤١).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٣).

وروى أيضًا عن أيوب بن أبي تميمة السختياني قال: إنِّي أُخبر بموت الرجل من أهل السنَّة، وكأنِّي أفقد بعض أعضائي[١].

وروى أيضًا عن سفيان بن سعيد الثوري قال: استوصوا بأهل السنَّة خيرًا؛ فإنَّهم غرباء[٢].

وروى أيضًا عن الزاهد يوسف بن أسباط قال: إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة، وآخر بالمغرب.. فابعث إليهما بالسلام، وادع لهما، ما أقلَّ أهل السنة والجماعة[٣].

وروى أيضًا عن الإمام أسد بن موسى يقول: كنا عند سفيان بن عيينة، فَنُعي إليه الدراوردي، فجزع وأظهر الجزع، ولم يكن قد مات، فقلنا: ما علمنا أنَّك تبلغ مثل هذا! قال: إنَّه من أهل السنة[٤].

قال شيخ الإسلام يونس بن عبدالأعلى بن ميسرة أبوموسى الصدفي: ما رأيت أحدا أعقل من الشافعي، لوجمعت أمة فجعلت في عقل الشافعي.. لوسعهم عقله.

قال محمد بن سفيان بن سعيد: قال لنا يونس: ناظرت الشافعي يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال لي: يا أبا موسى، ألا

---

(١) المصدر السابق (١/ ٦٦).
(٢) المصدر السابق (١/ ٧١).
(٣) المصدر السابق (١/ ٧١).
(٤) المصدر السابق (١/ ٧١).

يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة[١].

قال الإمام الحافظ مؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون[٢].

وقال شيخ الإسلام النووي: إنَّ غالب المصالح لا تتم إلا بالاتفاق، ومتى حصل الاختلاف فاتت[٣].

وقال الإمام منصور بن محمد المروزى أبوالمظفر السمعاني: والضرب الآخر من الاختلاف لا يزيل الألفة، ولا يوجب الوحشة، ولا يوجب البراءة، ولا يقطع موافقة الإسلام، وهوالاختلاف الواقع في النوازل التي عدمت فيها النصوص في الفروع، وغمضت فيها الأدلة، فيرجع في معرفة أحكامها إلى الاجتهاد[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ١] ويقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر

(١) تاريخ دمشق (٥١/ ٣٠٢) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦).
(٣) منهاج المحدثين (١٠/ ٣٠٥).
(٤) قواطع الأدلة (٣/ ١١٧٧).

بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفرقة والاختلاف. وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة[١].

وقال أيضا عن اختلاف الصحابة في بعض المسائل: وخفي عليهم بعض مسائل الفرائض وغيرها حتى تنازعوا فيها، وهم مؤتلفون متحابُّون، كل منهم يُقِرُّ الآخر على اجتهاده[٢].

وقال أيضا: وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية، كسماع الميت صوت الحي، وتعذيب الميت ببكاء أهله، ورؤية محمد ﷺ ربه قبل الموت مع بقاء الجماعة والألفة[٣].

وقال أيضا: وفي الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو. تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**».

وفي الصحاح أيضا أنه قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه**».

وفي الصحاح أيضا أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وقال ﷺ: «**المسلم أخوالمسلم لا يسلمه ولا يظلمه**» وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٥٨).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٢٣).

وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة، وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين، وأمرهم سبحانه بالائتلاف، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف[(١)].

وقال أيضا: **ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات؛** لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت؛ لما في إبقائه من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر، ثم صلى خلفه متما. وقال: الخلاف شر[(٢)].

وقال أيضا: ومعلوم أنَّ ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات، فلوتركها المرء لائتلاف القلوب.. كان ذلك حسنا، وذلك أفضل؛ إذ كان مصلحة ائتلاف القلوب فوق مصلحة ذلك المستحب[(٣)].

وقال أيضا: إن الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية، فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع![(٤)].

قال الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: ويقابل هؤلاء

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٤١٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٢٢).

(٣) قاعدة في صفات العبادات الظاهرة (٤٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٥٤).

الناس الذين لا يهتمون بتصحيح العقيدة وتصحيح المفاهيم، ناس آخرون على عكس هؤلاء تماماً، يهتمون الاهتمام الواجب في معرفة الحق مما اختلف فيه الناس، ولكنهم يعادون أشد المعاداة ذلك الجنس الأول، والحق بين هؤلاء وهؤلاء، **يجب إذًا أن يكون موقفنا تجاه الجماعات الإسلامية موقف الأخوة المؤمنة**، وإذا رأى المسلم في أخيه خطأً، بل ولو رأى منه خطيئة فليس ينبغي في حقه أن يعاديه، بل عليه أن ينصحه، وأن يكون نصحه إياه بالرفق والحكمة المأمور به، أوبها في الكتاب والسنة ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النّحل: ١٢٥].

وينبغي أن يلاحظ هؤلاء الذين يهتمون بمعرفة الحق مما اختلف فيه الناس أن سائر الناس إذا كانوا في خطأ، فإنما هم كالمرضى الذين يجب أن يعالَجوا بكل إخلاص وبكل رفق، ولا يجوز أن يعامَلوا بالشدة والغلظة، فلا جرم أن الله عَزَّوَجَلَّ خاطب نبيه عليه السلام، تعليماً لنا: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

فدعوتنا إذا التي تنحصر في اتباع الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، لا تعادي جماعة من الجماعات الإسلامية لأشخاصها، وإنما تخالفهم في بعض أفكارها أومناهجها، وهذا مما يوجب علينا أن ننصحهم وأن ندعوهم مهما اشتطوا، ومهما ابتعدوا عن سبيلنا الذي هوسبيل ربنا[١].

---

(١) سلسلة الهدى والنور (١٧٠) الوجه الأول.

وقال عبيد الله بن محمد أبومعاذ الخطيب:

إنَّ الـــتــــآلــــف والأُخــــوَّةْ ... خُــلُـقـانِ مـن خُـلُـقِ الـنُّـبُـوَةْ
فـاخـتـر لـنـفـسـك يـا فـتـى ... أهــل الـديـانــةِ والــمُــرُوَّةْ (١)

۞ إيقاظ:

تتابعت نصوص الشرع وتواردت نصائح الأئمَّة في الحثِّ على الألفة والمحبَّة بين المسلمين، والحذر من الفرقة والبغضة، ومع ذلك فهذا البلاء قائم اليوم على قدم وساق بين المنتسبين إلى الحديث والسنّة فضلًا عن غيرهم، مُغلَّفًا بالغلاف البرَّاق: تَميُّزُ أهل السنة والجماعة عن أهل البدع والأهواء.

والعجب العجاب أنَّ لفظ «التَّمَيُّز» مصطلح باطني، تحته نمط التعامل مع الناس المُكَفَّرِين من قِبَلهم، يناسب باطنيَّتهم وانطواءهم، فَأَدَبَّه غلاة التبديع إلى منهج أهل السنة والجماعة في القرن الخامس عشر مصطلحًا تحته نمط التعامل مع الناس المُبَدَّعين من قِبلهم.

قال أبوحامد الغزالي في تقسيم أنواع الباطنية: الصنف الرابع طائفة جُبلوا على حُبِّ «التَّمَيُّز» عن العامَّة، والتخصص عنهم؛ ترفعا عن مشابهتهم، وتشرفا بالتحيز إلى فئة خاصة، تزعم أنها مطلعة على الحقائق، وأنَّ كافة الخلق في جهالتهم كالحمر المستنفرة، والبهائم

(١) منتقى من السفينة البغدادية لأبي طاهر السِّلفي (٦٠).

المسيبة. وهذا هوالداء العضال المستولي على الأذكياء فضلا عن الجهال الأغبياء، وكل ذلك حب للنادر الغريب، ونفرة عن الشائع المستفيض، وهذه سجية لبعض الخلق على ما شهدت به التجربة، وتدل عليه المشاهدة(١).

فمن المسؤول - يا تُرى - عن هذا البلاء، ومن المُشَمِّرُ إليه المُصِرُّ عليه، المنفق فيه النفس والنفيس؟

والواقع أنَّ هذا البلاء إنّما يُنَشَّأ في موارد الاجتهاد، ومواقع الأحداث.

فهل المسؤول عنه من إذا وقعت نازلة، أواستجدَّت حادثة =نظر فيما أمكن له النظر فيه من نصوص الشرع، واجتهد في البحث عن مظانِّ حكم النازلة على حسب طاقته ومكنته، ونظر في كلام أئمة الدين الذين وضع الله لهم القبول في الأرض، فإذا استصوب قولًا أوموقفًا، واطمأنَّ إليه .. تقلَّده، ولم يُلزمه غيره، ولم يرتب عليه ولاء ولا براء، ويرى أنَّ لغيره أيضًا حق النظر والاختيار، فإن اتَّفق الاختيار فبها ونعمت، ولله الفضل والمنة، وإلَّا لزم اختياره، ورأى أنَّ لغيره أيضًا أن يَلزم اختياره دون إحداث فرقة من جرَّاء ذلك.

أم المسؤول من يُصرُّ على إلزام نظيره اختياره في حين أنَّ المُلْزِمَ لم يتميَّز عن المُلْزَمِ بما قد يُدرك به الصوابُ في مسارح النظر، ومسائل

---

(١) فضائح الباطنية (٣٥).

الاجتهاد من عقل رصين، أوعلم راسخ، أوتديُّن راجح.

يتولَّى الجواب عن هذه المعضلة المُحَيِّرة شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتأمَّل في كلامه، ونزّله على الواقع؛ لتضع أصبعك على جذع الفرقة والبلاء، وسبب البغضة والداء؛ ولتضع النقاط على الحروف، ولتفهم عقدة الإلزام والأنانية.

قال شيخ الإسلام: إن ما تنازع فيه العلماء ليس لأحد من القضاة أن يفصل النزاع فيه بحكم، وإذًا لم يكن لأحد من القضاة أن يقول: حكمت بأن هذا القول هوالصحيح، وأن القول الآخر مردود على قائله؛ بل الحاكم فيما تنازع فيه علماء المسلمين أوأجمعوا عليه قوله في ذلك كقول آحاد العلماء إن كان عالما، وإن كان مقلدا كان بمنزلة العامة المقلدين، والمنصب والولاية لا يجعل من ليس عالما مجتهدا، عالما مجتهدا ولوكان الكلام في العلم والدين بالولاية والمنصب . . لكان الخليفة والسلطان أحق بالكلام في العلم والدين. وبأن يستفتيه الناس ويرجعوا إليه فيما أشكل عليهم في العلم والدين، فإذا كان الخليفة والسلطان لا يدعي ذلك لنفسه، ولا يلزم الرعية حكمه في ذلك بقول دون قول إلا بكتاب الله وسنة رسوله، فمن هودون السلطان في الولاية أولى بأن لا يتعدى طوره، ولا يقيم نفسه في منصب لا يستحق القيام فيه أبوبكر وعمر وعثمان وعلي - وهم الخلفاء الراشدون - فضلا عمن هو دونهم؛ فإنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إنما كانوا يلزمون الناس باتباع كتاب ربهم وسنة نبيهم، وكان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: إنما بعثت عمالي - أي نوابي - إليكم

ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ويقسموا بينكم فيأكم[١].

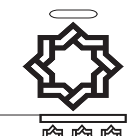
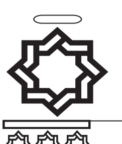
وقال الشيخ أيضًا: **وليس للحاكم وغيره أن يبتدئ الناس بقهرهم على ترك ما يسوغ، وإلزامهم برأيه اتفاقًا؛ إذ لوجاز هذا .. لجاز لغيره مثله، وأفضى إلى التفرق والاختلاف**[٢].



---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٩٦- ٢٩٧).

(٢) الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية (٤٨٢).

المحور الثالث

ملازمة العدل والإنصاف، والحذر من عاقبة البغي على المسلم، والتطاول عليه، وإخراجه من السنة جهلا أو ظلما

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المَائدة: ٨].

قال الإمام المفسر أبوإسحاق الثعلبي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم؛ لعداوتهم. اعدلوا في أوليائكم وأعدائكم[(١)].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القَصَص: ٨٣] قال التابعي الجليل سعيد بن جبير رحمه الله: بغيا، وقال الضحاك: ظلما[(٢)].

روى أبوداود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدَّخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[(٣)].

---

(١) الكشف والبيان (١١/ ٢٢٥).

(٢) جامع البيان (١٨/ ٣٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ٣٠٤).

(٣) سنن أبي داود (ح ٤٩٠٢)، وسنن الترمذي (٢٦٧٩)، وسنن ابن ماجه (ح ٤٢١١).

وعلى ذلك فينبغي للمرء الحريص على دينه، الشحيح بطاعاته أن يُلجم لسانه، ويتأنى فيما يحكم به على المسلم ويُصدره عليه، فقد يحكم على مسلم حكما يتشفى به منه في الواقع، وتُخيل إليه نفسه أنه يحمي به حوزة الدين، أويحكم به على جهل، فيجني بذلك على نفسه «وعلى أهلها جنت براقش» ولا يجني على المسلم، ويقف بذلك على شفا جرف جهنم.

روى أبوداود والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه عن بريدة عن رسول الله ﷺ قال: «**القضاة ثلاثة: اثنان في النار، وواحد في الجنة، رجل علم الحق، فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار، ورجل جار في الحكم، فهو في النار**»[1].

قال الحافظ الثقة عبَّاد بن عبَّاد الخواص أبو عتبة الشامي في نصائحه: ولا تكتفوا من السنَّة بانتحالها بالقول، دون العمل بها؛ فإنَّ انتحال السنة دون العمل بها كذب بالقول مع إضاعة العمل.

ولا تعيبوا بالبدع تزينا بعيبها؛ فإن فساد أهل البدع ليس بزائد في صلاحكم، ولا تعيبوها بغيا على أهلها[2].

قال الإمام الحافظ الحجة عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠): **لا يجوز لرجل أن ينسب رجلًا إلى بدعة بقول أو فعل حتى**

---

(١) سنن أبي داود (٣٥٧٣)، وسنن الترمذي (١٣٢٢)، وسنن النسائي الكبرى (٥٨٩١)، وسنن ابن ماجه (٢٣١٥).
(٢) المسند الجامع لأبي محمد الدارمي (٣٨٤).

يستيقن أنَّ قوله ذلك وفعله باطل، ليس كما يقول[١].

وقال الإمام أبوالفرج ابن الجوزي ﷺ: ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم فِي بعض طلبا للتشفِّي، ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذبِّ عن الشرع. والله أعلم بالمقاصد[٢].

قال الإمام المحدث الفقيه محمد بن مفلح بن مفرج شمس الدين المقدسي ﷺ: «قال ابن الجوزي في كتابه «السر المصون»: رأيت جماعة من المنتسبين إلى العلم يعملون عمل العوامِّ، فإذا صلى الحنبلي في مسجد شافعي، ولم يجهر غضبت الشافعية، وإذا صلى شافعي في مسجد حنبلي، وجهر غضبت الحنابلة، وهذه مسألة اجتهادية، والعصبية فيها مجرد هوى يمنع منه العلم.

قال ابن عقيل: **رأيت الناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز. ولا أقول: العوامُّ، بل العلماء**، كانت أيدي الحنابلة مبسوطة في أيام ابن يوسف، فكانوا يتسلطون بالبغي على أصحاب الشافعي في الفروع حتى لا يمكنوهم من الجهر والقنوت، وهي مسألة اجتهاد، فلما جاءت أيام النظام، ومات ابن يوسف، وزالت شوكة الحنابلة استطال عليهم

---

(١) الرد على الجهمية (١٩٤).

(٢) كتاب تلبيس إبليس (٢/ ٦٨٩). هؤلاء حثالة المنتسبين إلى الحديث، وهم في كل زمان، وليسوا في العير ولا في النفير، ولا من جهابذة المحدثين ونقَّاد الرواة والمرويات، وهذا وارد في عامة الطوائف المنتسبين إلى العلوم.

أصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة، فاستعدوا بالسجن، وآذوا العوامَّ بالسعايات، والفقهاء بالنبز بالتجسيم، قال: فتدبرت أمر الفريقين، فإذا بهم لم تعمل فيهم آداب العلم، وهل هذه الأفعال إلا أفعال الأجناد، يصولون في دولتهم، ويلزمون المساجد في بطالتهم، انتهى ما ذكره ابن الجوزي.

فقد بينا الأمر على أن مسائل الاجتهاد لا إنكار فيها»[(١)].

۞ عبرة:

خفَّت حدَّة التعصب البغيض اليوم - بحمد الله - بين المنتسبين إلى المذاهب الفقهية المشهورة، ولكنه لم يفارق الأمة بالكلية، ولم تتعاف منه بالكامل، بل تحوَّل بمسلاخ آخر إلى ما يسمَّى بالجماعات الإسلامية فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين المناوئين لهم المُتَحَدِّينَهم من جهة ثانية، وفيما بين المناوئين لهم أنفسهم من جهة ثالثة. نسأل الله السلامة والعافية بمنِّه وفضله. وكل ذلك نكوص عن امتثال أمر الله تبارك وتعالى ونهيه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣] وذلك التعصب كان داء عُضالا وسُوْساً ينخر في جسد الائتلاف قديما وحديثا مغطًى بأغطية ظاهرها برَّاق، وباطنها عذاب، وهوباب من أبواب الفشل المذكور في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفَال: ٤٦] فهل من مدَّكر؟.

---

(١) كتاب الفروع (٣/ ٢٢).

قال الإمام الحافظ الحجة محمد بن اسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري رحمه الله: ولم ينجُ كثير من الناس في كلام بعض الناس منهم[١]، نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي، وكلام الشعبي في عكرمة، وفيمن كان قبلهم، وتأويل بعضهم في العِرْض والنفس، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلَّا ببيان وحجة، ولم تُسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجَّة، والكلام في هذا كثير[٢].

وقال شيخ الاسلام رحمه الله: وكثير من هذه الطوائف يتعصب على غيره، ويرى القذاة في عين أخيه، ولا يرى الجذع المعترض في عينه، ويذكر من تناقض أقوال غيره، ومخالفتها للنصوص والمعقول =ما يكون له من الأقوال في ذلك الباب ما هومن جنس تلك الأقوال، أوأضعف منها، أوأقوى منها.

والله تعالى يأمر بالعلم والعدل، ويذم الجهل والظلم، كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢] وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، فرجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق، وقضى بخلافه فهو في النار**». رواه أهل السنن.

---

(١) لعل المعنى: ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم.

(٢) القراءة خلف الإمام (٢٣٤).

ومعلوم أن الحكم بين الناس في عقائدهم وأقوالهم أعظم من الحكم بينهم في مبايعهم وأموالهم[١].

وقال أيضا: ولما كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل.. كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظن، وما تهوى الأنفس؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل علم الحق، وقضى به، فهو في الجنة، ورجل علم الحق، وقضى بخلافه، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار**». رواه أبوداود وغيره.

فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض - إذا لم يكن عالما عادلًا -.. كان في النار، فكيف بمن يحكم في الملل، والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية، والمعالم الكلية بلا علم، ولا عدل[٢].

وقال أيضا: ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم إلى يوم القيامة، أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونا بالظن، ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين.

---

(١) درء تعاض العقل والنقل (٧/ ٤٦٣).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٧٣).

ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين: طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه، وطائفة تذمه، فتجعل ذلك قادحا في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنة، بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان. وكلا هذين الطرفين فاسد.

والخوارج والروافض وغيرهم من ذوي الأهواء دخل عليهم الداخل من هذا.

ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم، وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه، ويبغض من وجه.

هذا هومذهب أهل السنة والجماعة، خلافا للخوارج، والمعتزلة، ومن وافقهم[١].

وقال الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي: والكلام في الرجال لا يجوز إلَّا لتامِّ المعرفة، تامِّ الورع[٢].

وقال أيضًا: وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع[٣].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٤٣).

(٢) ميزان الاعتدال (٩٩٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٨).

وقال الإمام الحافظ محدِّث الشام محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد أبوبكر شمس الدين المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي: إن في مجال الكلام في الرجال عقبات، مرتقيها على خطر، ومرتقبها هوى، لا منجى له من الإثم ولا وزر.

فلو حاسب نفسه الرامي أخاه ما السبب الذي هاج ذلك؟ لتحقق أنه الهوى الذي صاحبه هالك.

والكلام في الرجال ونقدهم يستدعي أمورا في تعديلهم وردهم.

منها: أن يكون المتكلم عارفا بمراتب الرجال وأحوالهم في الانحراف والاعتدال، ومراتبهم من الأقوال والأفعال.

وأن يكون من أهل الورع والتقوى، مجانبا للعصبية والهوى، خاليا من التساهل، عاريا عن غرض النفس بالتحامل، مع العدالة في نفسه والإتقان، والمعرفة بالأسباب التي يجرح بمثلها الإنسان، وإلا لم يقبل قوله فيمن تكلم، **وكان ممن اغتاب، وفاه بِمحرم**[١].

عقد الإمام أحمد بن محمد بن هارون أبوبكر الخلَّال جامع علوم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: من فَضَّلَ أبا بكر وعمر، ووقف.

ثم قال: أخبرني محمد بن موسى قال: قال أبوجعفر حمدان بن علي: إنه سمع أبا عبد الله قال: وكان يحيى بن سعيد يقول: عمر. وقف،

(١) الرد الوافر (١٤٧).

وأنا أقف؟[١].

قال أبوعبد الله: وما سمعت أنا هذا من يحيى، حدثني به أبوعبيد عنه، وما سألت أنا عن هذا أحدا، أو ما أصنع بهذا؟[٢]

قال أبوجعفر: فقلت: يا أبا عبد الله، من قال: أبوبكر وعمر هو عندك من أهل السنة؟

قال: لا توقفني هكذا، كيف نصنع بأهل الكوفة.

قال أبوجعفر: وحدثني عنه أبو السري عبدوس بن عبد الواحد قال: «إخراج الناس من السنة شديد»[٣].

ثم عقد: الإنكار على من قَدَّم عليًّا على عثمان رضي الله عنهما.

ثم قال: كتب إليَّ أحمد بن الحسن الورَّاق من الموصل، قال: ثنا بكر بن محمد، عن أبيه، عن أبي عبد الله، وسأله عمن قال: أبوبكر وعمر وعلي وعثمان؟ فقال: ما يعجبني هذا القول.

قلت: فيقال: إنه مبتدع؟

قال: أكره أن أبدعه، البدعة الشديدة.

---

(١) يعني أنَّ الإمام الحافظ القدوة يحيى بن سعيد بن فرُّوخ أبا سعيد القطان يقول في التفضيل: أبوبكر وعمر ثم يقف، وما أعجب هذا الوقوف الإمام أحمد بن حنبل فقال: وأنا أقف؟ لا أقف، بل أقول: أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي.

(٢) لعل أو بمعنى الواو.

(٣) السنة (١/ ٢٩٨).

قلت: فمن قال: أبوبكر وعمر وعلي، وسكت فلم يفضل أحدا؟ قال: لا يعجبني أيضا هذا القول.

قلت: فيقال: مبتدع؟ قال: لا يعجبني هذا القول (١).

۞ إيقاظ:

قلت: المتقرر لدى أهل السنة والجماعة تفضيل الخلفاء الراشدين الأربعة على سائر أصحاب رسول الله ﷺ، وتفضيل أبي بكر وعمر على عثمان وعلي، وتفضيل عثمان على علي رضي الله عنهم أجمعين، ومع ذلك يتلكَّأ الإمام أحمد ويتوقَّف عن تبديع من خالف المتقرر عند أهل السنة والجماعة في مسألة عقديَّة، ويقف عند تفضيل أبي بكر وعمر فحسب، ولا يثلث بعثمان، أويُقدِّم عليا على عثمان من بعض علماء الكوفة، وينكر على من يحشره في موقف تبديع المتوقِّف عن التثليث بعثمان، أوالمُقدِّم عليًّا على عثمان رضي الله عن الجميع.

فماذا عسى أن يقال عن هؤلاء المُهْرَعين إلى التبديع الأهوج الذين ذربت ألسنتهم، ومردت أنفسهم على تجريح من يخالفهم في بعض مواقفهم وأفكارهم من خواصِّ أهل السنة والجماعة، حتَّى إذا خُيِّل إلى هؤلاء أنَّهم أبلوا بلاء حسنا في هذا الجهاد الإسلامي - زعموا - وانكسرت قرونهم من مناطحة الآخرين.. عادوا إلى أنفسهم فتفارزوا بالتبديع، وتفارقوا بالتضليل، وتبادلوا التجريح، ثم تساقطوا بين مكدوم

---

(١) السنة (١/ ٣٠٣).

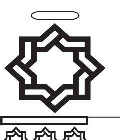
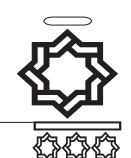
ومعضوض، ومشجوح ومكسور. كفى الله المسلمين شرَّ تمزيقهم. وقد قيل: لن يَسُود النَّقَّار ما اسوَدَّ القار.

وما من يد إلَّا يد الله فوقها ولا ظالم إلَّا سيبلى بظالم



أما واللهِ إنَّ الظلم شُؤْم ولا زال المُسِيءُ هوالظَّلومُ
إلى الدَّيَّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخُصومُ
سَتَعْلَمُ في الحساب إذا التقينا غدًا عند المليك من الغَشُومُ

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

المحور الرابع

نعم، للمشاورة والمناصحة والمؤالفة، لا للمراء والمغالبة والخصومة؛ فإنَّ الخصومة الكلامية قد تتحول إلى خشونة كِلامية، فيتم بذلك خسارة الدارين.

روى الإمام أبوداود رحمه الله عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا زعيم ببيت في ربض الجنه لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنه لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنه لمن حَسَّن خلقه[١].

وروى الترمذي والبخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُمار أخاك ولا تمازحه، ولا تَعِدْه موعدا فتخلفه[٢].

وروى أبوبكر بن أبي الدنيا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: المراء لا تُعْقَلُ حكمته، ولا تؤمن فتنته.

وروى أيضا عن أبي الدرداء رضي الله عنه: كفى بك إثما أن لا تزال مماريا.

---

(١) سنن أبي داود (ح ٤٨٠٠). ربض الجنه: حوالي الجنه وأطرافها.
(٢) سنن الترمذي (ح ٢١١٣) والأدب المفرد (ح ٣٩٤).

وروى أيضا عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: إذا سمعت المراء فأقصر.

وروى أيضا عن مجاهد بن جبر رحمه الله قال: كان لي صديق من قريش، فقلت له: تعال حتى أواضعك الرأي، فأنظر أين تقع من رأيي، وأين أقع من رأيك؟ فقال: دع الوُدَّ كما هو. قال مجاهد: فغلبني القرشي.

وروى أيضا من طريق حماد بن زيد، عن محمد بن واسع قال: كان مسلم بن يسار يقول:

إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته. قال حماد: فقال لنا محمد: هذا الجدال، هذا الجدال.

وروى أيضا عن علي بن بذيمة قال: قيل لميمون بن مهران: ما لك لا يفارقك أخ لك عن قِلًى؟ قال: إني لا أشاريه(١)، ولا أماريه(٢).

قال عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله: المراء يفسد الصداقة القديمة، ويَحُلُّ العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة(٣).

روى أبوبكر بن أبي الدنيا، و أبوعبد الله بن بطَّة، وأبوبكر الآجري، عن عبد الكريم بن مالك الجزري أحد رجال الكتب الستة قال: ما خاصم

(١) المشاراة اللجاج في الجدال.
(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا (٣/ ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٤).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٨٣).

ورع قط - يعني - في الدين[١].

وروى أبوعبد الله بن بطّة عن مهدي بن ميمون قال: سمعت محمد بن سيرين - وماراه رجل في شيء - فقال له محمد: إني قد أعلم ما تريد، وأنا أعلم بالمراء منك، ولكني لا أماريك[٢].

وقال الإمام مالك رحمه الله: المراء في العلم يقسي القلب، ويورث الضغن، وفي لفظ: المراء في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل[٣].

و قال الإمام الشافعي رحمه الله: المراء في العلم يقسي القلب، ويورث الضغائن[٤].

وقال الحافظ أحمد بن محمد بن أبي سعدان أبوبكر البغدادي الشافعي: من جلس للمناظرة على الغفلة لزمه ثلاث عيوب: أوله جدال وصياح، وأوسطه حبُّ العلوِّعلى الخلق، وآخره حقد وغضب. ومن جلس للمناصحة فأول كلامه موعظة، وأوسطه دلالة، وآخره بركة[٥].

وقال الإمام عبيد الله بن محمد بن بطة أبوعبد الله العكبري: ولقد رأيت المناظرين في قديم الزمان وحديثه، فما رأيت ولا حُدِّثت، ولا

---

(١) ذم الغيبة والنميمة (١٠٠) والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١/ ٢٦٣) وكتاب الشريعة (١/ ٤٤٣).

(٢) الإبانة (١/ ٢٦١).

(٣) شرح السنة (١/ ٢٩٢) وفتح الباري (١٣/ ٢٦٣).

(٤) المدخل إلى علم السنن (١/ ٢٠١).

(٥) ذم الكلام وأهله (٤/ ٣٨٦).

بلغني أن مختلفين تناظرا في شيء ففلجت حجة أحدهما، وظهر صوابه، وأخطأ الآخر، وظهر خطؤه، فرجع المخطئ عن خطئه، ولا صبا إلى صواب صاحبه، ولا افترقا إلا على الاختلاف والمباينة، وكل واحد منهما متمسك بما كان عليه، ولربما علم أنه على الخطأ، فاجتهد في نصرته. وهذه أخلاق كلها تخالف الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من علماء الأمة [(١)]

وقال الإمام الحافظ عبيد الله بن سعيد بن حاتم أبونصر السجزي الوائلي: وليكن مِن قصد من تكلَّم في السنة اتباعها وقبولها، لا مغالبة الخصوم؛ فإنه يعان بذلك عليهم، وإذا أراد المغالبة ربَّما غُلب[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النِّسَاء: ٥٩] وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة[(٣)] وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين[(٤)].

روى الإمام الحافظ عبد الرزاق بن همَّام الصنعاني بسنده عن يزيد بن

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١/ ٢٩٣).
(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٤٤).
(٣) لا مناظرة مناكدة، ومحاولة مغالبة.
(٤) مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٧٢).

الأصمِّ، عن ابن عباس قال: قدم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا، فقال ابن عباس: فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فزبرني عمر، ثم قال: مه، قال: فانطلقت إلى أهلي مكتئبا حزينا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا الرجل منزلة، فلا أُراني إلا قد سقطت من نفسه، قال: فرجعت إلى منزلي، فاضطجعت على فراشي، حتى عادني نسوة أهلي، وما بي وجع، وما هوإلا الذي تقبلني به عمر، قال: فبينا أنا على ذلك، أتاني رجل، فقال: أجب أمير المؤمنين، قال: خرجت، فإذا هوقائم ينتظرني، قال: فأخذ بيدي، ثم خلا بي، فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن كنت أسأت.. فإني أستغفر الله وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببت، قال: لتحدثني بالذي كرهت مما قال الرجل، فقلت: يا أمير المؤمنين، متى ما تسارعوا هذه المسارعة يحيفوا، ومتى ما يحيفوا يختصموا، ومتى ما يختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا، فقال عمر: لله أبوك، لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها(١).

۞ إيقاظ:

تأمل في هذا الأثر - يا رعاك الله - كيف خاف حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، ووافقه عليه المحدث الملهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما =من المسارعة في حفظ القرآن أن تُحدث للحفظة شيئا من

(١) المصنف (١٠/ ٢٦٠) وكتاب المعرفة والتاريخ (١/ ٥١٦).

الحيف والظلم بالمباهاة بحفظ القرآن والتطاول بإتقانه، ثم قد يتطور ذلك إلى الخصومات والاختلافات، ثم إلى التقاتل وإراقة الدماء، ثم تأمَّل كيف لا يخاف هؤلاء الغلاة أن يَنجَرَّ تبديعهم المنفلت، وتضليلهم المنسرع، وإقحامهم الشباب في هذا البلاء، وتجرئتهم عليه =إلى الخصومات والاختلافات، ثم إلى التقاتل وإراقة دماء المسلمين في حين أنهم يتظاهرون بالحرص على حفظ دماء المسلمين، أيغلقون بابا في الدماء، ويفتحون بابا آخر لها على مصراعيه؟ وصدق من قال: رُبَّ قول أَوْرَدَكَ مورد القتال، أورَدَّكَ مُوَرَّدَ القَذَال، ومن قال: رُبَّ حرف أدَّى إلى حتفٍ، ومن قال: وكم من دمٍ سفكه فم، ومن قال: وكم من إنسان أهلكه لسان. سبحان الله ! ما أعجب هذا التلون والتناقض!

ولِمَ أُبعد النجعة؟ وهاهنا ما هو أقرب إلى إراقة دماء مسلمين من هذا النزع؛ فإن قتل الداعية إلى البدع الذي لا ينكفُّ شَرُّ ابتداعه إلا بالقتل يقتل لدى هؤلاء الغلاة، فهذه مقدِّمة مفروغ منها[١]، ثم فرغوا من المقدِّمة الأخرى، وهي الحكم -بغير حق- على بعض الطوائف من أهل السنة المحضة بالابتداع والتكفير: الخوارج، وهاتان مستلزمتان للنتيجة الحتمية: يقتل هؤلاء درءًا لبدعهم وفتنهم، فتمَّت المقدِّمتان، ولم يبق إلا توجيه الأوامر إلى مريديهم، وضرب وتر ساعة الصِفر: اقتلوا المبتدعة التكفيريين، وازدلفوا إلى الله بإراقة دمائهم. وصدق من قال:

---

(١) هذه المقدمة لا غبار عليها؛ فقد ذهب إليها بعض أهل العلم، ولكن الشأن كل الشأن في المقدمة الثانية والنتيجة.

التبديع بغير حقٍّ بوَّابة للقتل بغير حقٍّ.

هذا، وقد أريقت دماء معصومين، وأزهقت أرواح مصلين بزعم سيف الجهاد في سبيل الله، وإعزاز دين الله، والإجهاز على البدع وأهلها، والحفاظ على السنَّه وأهلها، والغيرة عليها، والله الموعد.

وما يوم حليمة بسرٍّ، وما مجزرة محمود الورفلي بغائبة عن مرأى العالم ومسمعه في ليبيا الجريحة بدعوى الإجهاز على المُرَّاق الخوارج الخارجين على ولاية أمير المؤمنين البطل المجاهد السلفي(١) خليفة بلقاسم حفتر!!

وهذا لا يعدو أن يكون تلاعبًا بالألفاظ يضحك الثكلى، ووضع المصطلحات الشرعية في غير مواضعها في عالم التمويه والخداع.

أسماء مملكة في غير موضعها كالهِرِّ يحكي انتفاخًا صولة الأسد

والواقع أنَّ حفترًا عسكري عجوز في عمر الثمانين، مشبوه، خلفه شياطين الإنس المردة من اليهود والنصارى والملحدين والمنافقين؛ لتدمير البنية التحتيَّة للمسلمين هنالك، وإنزال الرعب في ديارهم، وزرع الجوع فيها، ونهب خيرات أراضيهم بعد شغلهم بهذه الرزايا، متزعِّم لبعض المليشيات القتالية، والمرتزقة، أنفق عمرًا في حروب الفتن القذرة للوصول إلى سُدَّة الحكم عبر جماجم المسلمين وأشلائهم.

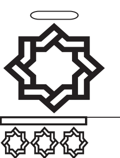
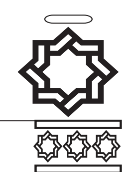
---

(١) على حَدِّ تعبير بعض زعماء الغلاة، والجنون فنون.

سبحان الله! أو رأى أهل السنة والحديث تلاحما وتعاونا في تاريخهم المديد بين سلفية سليمة وبين حروب فتن سخيفة دموية!

وقد يُصَدَّر هذا التزاوج الدموي بين ادِّعاء السلفية والتهالك على كراسي الحكم إلى بلاد إسلامية أخرى؛ لإيجاد دولة سلفية موهومة من ضرب الخِيال، ونسج الخَبال، فَيُتيِم «خسارة الدنيا والآخرة» مع المناداة عليها بـ«سعادة الدنيا والآخرة» ولا يستغرب هذا الدجل الفاضح من أمثال هذا التزاوج بين الغلو الطائفي والطمع الحفتري، فنحن في زمن سمته امتطاء الكذب و امتراء النفاق. والله المستعان.



المحور الخامس

مسائل الشرع فيها منصوص، وفيها مستخرج بالاجتهاد، فمن كان حريصا على اتباع الحق مجتهدا في طلبه بحسب قدرته، ولكنه خالف منصوصا في الشرع أوإجماعا بَلّهَ اجتهاد شخصٍ؛ لعدم بلوغهما إياه، أولشبهة قامت عنده.. يُبسط عذره، ولا يجوز طعنه وتجريحه وتضليله.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: الاختلاف وجهان: فما كان لله فيه نص حكم، أولرسوله سنة، أوللمسلمين فيه إجماع.. لم يسع أحدا علم من هذا واحدا أن يخالفه، وما لم يكن فيه من هذا واحد كان لأهل العلم الاجتهاد فيه بطلب الشبهة بأحد هذه الوجوه الثلاثة، فإذا اجتهد من له أن يجتهد.. وسعه أن يقول بما وجد الدلالة عليه، بأن يكون في معنى كتاب، أوسنة، أوإجماع.

فإن ورد أمر مشتبه يحتمل حكمين مختلفين، فاجتهد، فخالف اجتهاده اجتهاد غيره.. وسعه أن يقول بشيء، وغيره بخلافه[١].

وقال أيضا: فإن قيل: ذمَّ الله على الاختلاف.

قيل: الاختلاف وجهان:

فما أقام الله به الحجة على خلقه، حتى يكونوا على بينة منه.. ليس

---

(١) الأم للشافعي (٩/ ٤٠).

عليهم إلا اتباعه، ولا لهم مفارقته، فإن اختلفوا فيه.. فذلك الذي ذمَّ الله عليه، والذي لا يحل الاختلاف فيه.

فإن قال: فأين ذلك؟

قيل قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البيّنة: ٤].

وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥] فمن خالف نص كتاب لا يحتمل التأويل، أوسنة قائمة.. فلا يحل له الخلاف، ولا أحسبه يحل له خلاف جماعة الناس وإن لم يكن في قولهم كتاب، أوسنة.

ومن خالف في أمر ليس فيه إلّا الاجتهاد، فذهب إلى معنى يحتمل ما ذهب إليه، ويكون عليه دلائل.. لم يكن في ضيق من خلاف لغيره. وذلك أنه لا يخالف حينئذ كتابا نصا، ولا سنة قائمة، ولا جماعة، ولا قياسا(١) بأنه إنما نظر في القياس، فأدَّاه إلى غير ما أدى صاحبه إليه القياسُ، كما أدَّاه في التوجه للبيت بدلالة النجوم إلى غير ما أدى إليه صاحبه.

فإن قال: ويكون هذا في الحكم؟

قيل: نعم(٢).

---

(١) لعلَّ الإمام يعني بالقياس هنا ما يسميه بالقياس الجلي، ويرى أنه في معنى النصِّ، وينقض به حكم الحاكم، ويعني بالقياس الآخر قياس الشّبه.

(٢) الأمُّ (٩/ ٧٩).

وقال أيضا: **والمستحلُّ لنكاح المتعة[١]، والمفتي بها، والعامل بها =ممن لا ترد شهادته، وكذلك لوكان موسرا، فنكح أمة مستحلًّا لنكاحها مسلمة أومشركة؛ لأنا نجد من مفتي الناس وأعلامهم من يستحل هذا، وهكذا المستحلُّ الدينار بالدينارين، والدرهم بالدرهمين يدا بيد، والعامل به؛ لأنا نجد من أعلام الناس من يفتي به، ويعمل به، ويرويه، وكذلك المستحلُّ لإتيان النساء في أدبارهن، فهذا كله عندنا مكروه[٢] محرم، وإن خالفنا الناسُ فيه، فرغبنا عن قولهم، ولم يَدْعُنا هذا إلى أن نجرحهم، ونقول لهم: إنكم حللتم ما حرم الله،**

---

(١) قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لا أعلم في الإسلام شيئًا أُحِلَّ ثم حُرِّم، ثم أُحِلَّ ثم حُرِّم إلا المتعة». ذيل مناقب الشافعي للبيهقي (١٠٦).

(٢) إطلاق الإمام المكروه على هذه القبائح، وجمعه بين المكروه والمحرم =دليل على ترادفهما عنده.

قال العلامة الفقيه الأصولي تاج الدين السبكي: «وفي المكروه ثلاثة اصطلاحات:

أحدها: الحرام، فيقول الشافعي: أكره كذا وكذا، ويريد التحريم، وهوغالب إطلاق المتقدمين، تحرُّزًا عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النّحل: ١١٦]، فكرهوا إطلاق لفظ التحريم.

الثاني: ما نهي عنه نهي تنزيه، وهوالمقصود هنا.

الثالث: ترك الأولى، كترك صلاة الضحى؛ لكثرة الفضل في فعلها. والفرق بين هذا والذي قبله ورودُ النهي المقصود.

والضابط: ما ورد فيه نهي مقصود يقال فيه: مكروه، وما لم يرد فيه نهي مقصود يقال: تركُ الأولى، ولا يقال: مكروه». الإبهاج في شرح المنهاج (٢/ ١٦٢).

وأخطأتم؛ لأنهم يَدَّعُون علينا الخطأ، كما ندعيه عليهم، وينسبون من قال قولنا إلى أنه حرم ما أحل الله[(١)].

وهاهنا أدب عال، وعقل غال، وحكمة رفيعة ومنهجية بديعة: وصل الإمام الشافعي رحمه الله أرض كنانة، وفيها علماء مالكية، وكان عندهم شيء من الاضطراب في العمل ببعض الأحاديث الثابتة، وترك العمل ببعضها الثابت أيضًا دون حجة مقنعة لهذا الترك، فناقشهم الشافعي رحمه الله في هذا الترك، فلما رأوا شِدَّة حجاجه، وقوَّة عارضته، واطِّراد منهجه في العمل بالحديث الثابت، وتقديمه على ما يخالفه أيًّا كان.. أحاطوا به إحاطة الهالة للبدر، وتركوا مواقفهم المضطربة فطلب إليه الربيع بن سليمان أبو محمد المرادي أن يعرض الأحاديث التي خالفها علماء المالكية ويعدِّدها، فاعتذر الشافعي عن هذا الطلب؛ لأن طبيعة الإنسان تنفر من التقريع والتبكيت، وقد يكون في هذا إعانة لأبي مرةَ عليه مع أنَّ القصد الوصول بالأخ المخطئ إلى الحقِّ من أقرب أبوابه مع استبقائه.

فاقرأ - رعاك الله - هذا الحوار بين الإمام الشافعي وبين تلميذه الربيع بن سليمان رحمهما الله، وأَفِدْ منه في وضع أخطاء أهل السنة في إطارها المناسب لها.

---

(١) الأم للشافعي (٧/ ٥١١). وهذا موقف الإمام من هذه المسائل الكبار، فما حيلتنا فيمن إذا خالفت فهمه في مورد من موارد الاجتهاد.. نصب لك العداء، وولغ في عرضك، وكال لك التهم، وادَّعى أنه ينشر بذلك سنَّة، ويردم بدعة. الله المستعان.

قال الربيع: فقلت للشافعي: فاذكر مما روينا شيئًا[١].

فقال الشافعي رحمه الله: **لا أرب لي في ذكره**. وإن سألتني عن قولي؛ لأوضِّح لك الحجَّة فيه.. أجبتك أنت نفسك في قولك[٢]. وهكذا يلتقي تطبيقه العملي مع تأصيله العلمي ويؤازره، وهو الواجب في كل قضية علمية أن يتم التعاضد والتعانق بين التأصيلات العلمية والتطبيقات العملية.

وقال الإمام الحافظ إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد أبوإسحاق الخُتَّلي: وسمعت يحيى بن معين يقول: تحريم النبيذ صحيح[٣]، وأقف عنده، لا أحرمه، قد شربه قوم صالحون[٤] بأحاديث صحاح، وحرمه قوم آخرون بأحاديث صحاح، ثم قال يحيى بن معين: أنا سمعت يحيى بن سعيد يقول: حديث الطِّلاء، وحديث عتبة بن فرقد جميعاً صحيحان. قلت

---

(١) يعني وخالفناه من الأحاديث الثابتة.

(٢) كتاب الأم (٨/ ٥٣٥).

(٣) رواه البخاري (ح ٥٥٨٢) ومسلم (ح ٢٠٥٨) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ «كل شراب أسكر فهوحرام».

(٤) وقع الإجماع على أنَّ قليل ما أسكر كثيره من ماء العنب خمر حرام. واختلفوا في غير ماء العنب، فذهب جمهور أهل العلم إلى أنَّ قليل ما أسكر كثيره خمر لغة وشرعا وحرام، وفرق بعض أهل العلم من أهل الكوفة بين ماء العنب، وغيره في التسمية والتحريم، فسموا ماء العنب بالخمر، وحرموه إذا أسكر كثيره، ولم يسموا غير ماء العنب بالخمر، بل سمَّوه نبيذا، ولم يحرموا منه إلا القدر المسكر فقط.

ليحيى بن معين: تعني حديث الزهري، عن السائب بن يزيد، عن عمر: بلغني أن عبيد الله..؟ قال: نعم[١].

قلت: وحديث عتبة بن فرقد حديث إسماعيل، عن قيس، عن عتبة بن فرقد؟[٢] قال: نعم، مشهوران، جميعاً صحيحان[٣].

وقال الإمام المحدث العباس بن محمد بن حاتم أبوالفضل الدوري: قال يحيى: وحديث الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة في المسكر صحيح، وأنا أقف عنده، لا أقول لمن شرب: شربت ما لا يحل لك، وقد شرب النبيذ قوم صالحون[٤].

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ (ح ٢٤٤١) والنسائي في المجتبى (ح ٥٧٠٨) عن ابن شهاب، عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر بن الخطاب خرج عليهم، فقال: إني وجدت من فلان ريح شراب، فزعم أنه شرب الطِّلاء، وأنا سائل عما شرب، فإن كان يسكر جلدته، فجلده عمر بن الخطاب الحد تاما.
قال أبوعمر بن عبد البر: وجوب الحد على من شرب مسكرا، أسكر أولم يسكر، خمرا كان من خمر العنب، أونبيذا؛ لأنه ليس في الحديث ذكر الخمر، ولا أنه كان سكران، وإنما فيه من قول عمر أن الشراب الذي شرب منه إن كان يسكر جلده الحد. وهذا يدل على أنه كان شرابا لا يعلم أنه الخمر المحرم قليلها وكثيرها، ولوكان ذلك ما سأل عنه. الاستذكار (٩/ ١٨٥).

(٢) رواه النسائي في المجتبى (ح ٥٧٠٧). بلفط: عن عتبة بن فرقد قال: كان النبيذ الذي يشربه عمر بن الخطاب قد خُلِّل.

(٣) سؤالات ابن الجنيد (٣٤١).

(٤) التاريخ برواية الدوري (٤/ ٢٠٤).

وقال الإمام الذهبي في ترجمة الإمام الحافظ الكبير إبراهيم بن سعد ابن إبراهيم بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف أبي إسحاق القرشي الزهري المدني، روى له أصحاب الكتب الستة: كان ممن يترخَّص في الغناء على عادة أهل المدينة، وكأنَّه لِيْمَ في ذلك، فانزعج على المحدثين، وحلف أنَّه لا يحدِّث حتى يُغَنِّي قبله.

وقال أيضا: كان يُجَوِّز سماع الملاهي، ولا يجد دليلا ناهضا على التحريم، فأداه اجتهاده إلى الرخصة، فكان ماذا؟![١].

وينبغي لمن يردُّ الذي ذهبت عليه السنة إليها أن يتلطَّف معه، ويبلغ معه أقصى الغايات في إثبات السنة، وإقامة الحجة، وإزالة الشبهة.

ولا ينقضي عجبي من قوة أسلوب أمير المؤمنين في الحديث علي بن عبد الله بن جعفر أبي الحسن المديني، وحُسْن أوبة الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام هشام بن عبد الملك أبي الوليد الطيالسي إلى السنة في مسألة من مسائل صفة الصلاة.

روى الإمام الزاهد الحافظ أحمد بن محمد بن زياد أبوسعيد المعروف بابن الأعرابي تلميذ الإمام أبي داود، عن علي بن المديني قال: قلت لأبي الوليد الطيالسي: ما عذرك عند الله، و بأي شيء تحتج إذا أوقفت بين يديه عَزَّوَجَلَّ؟ شهد سفيان على الزهري، وشهد الزهري على سالم، وشهد سالم

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٠٦) والرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردَّهم (٣٧).

على أبيه أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا دخل في الصلاة كبر ورفع يديه حذومنكبيه، وإذا ركع رفع يديه، و إذا رفع رأسه رفع يديه، و لا يفعل ذلك بين السجدتين.

قال علي: فرفع أبوالوليد في الصلاة بعد ما أتى عليه ثمانون سنة لا يرفع[١].

الله اكبر! هكذا فليكن الحجاج للسنة، وهكذا فلتكن الرجعة إليها، لا الجعجعة الفارغة، والثرثرة الباردة.

قال شيخ الإسلام: وليس في ذكر كون المسألة قطعية طعن على من خالفها من المجتهدين، كسائر المسائل التي اختلف فيها السلف، وقد تيقنَّا صحة أحد القولين فيها[٢].

وقال الشيخ أيضًا: وهذا مذهب جماهير العلماء من المتقدمين والمتأخرين، لا يردُّون قولًا قاله عالمٌ بكتابٍ وسنةٍ إلا بكتابٍ وسنةٍ.

وهذه عادة الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ إذا خالف أحدٌ منهم جمهورَهم في مسألة فيها نصٌّ.. ردُّوا عليه بالنص، ولم يقولوا له: «خالفتَ الجمهور» ولا: «قولك شاذٌّ؛ لأنه خالف الجمهور».

وإن لم يكن في المسألة نصٌّ.. لم ينكروا عليه، بل جعلوها من مسائل الاجتهاد.

---

(١) كتاب المعجم (٢/ ٤١٠).
(٢) بيان الدليل على بطلان التحليل (١٦٠).

* فمثال الأول: لما أباح ابن عباس الدرهمَ بالدرهمين، وخالف جمهورَهم.. ردُّوا عليه بسنَّة رسول الله ﷺ، فروى له أبوسعيدٍ حديث النبي ﷺ في تحريم ذلك، وكذلك لما أباح المتعةَ، ولحومَ الحمير.. أنكر عليه عليُّ بنُ أبي طالبٍ محتجًّا عليه بالسنَّة، فقال له: «إنك امرؤٌ تائهٌ؛ إنَّ رسول الله ﷺ حرَّم متعة النساء، وحرَّم لحوم الحمير يوم خيبر».

* ولما خالفهم ابنُ عباسٍ في العول، والعُمريَّتين، وحجبِ الأم بأخوين.. لم ينكروا عليه، كما أنكروا تلك المسائلَ، بل كان ابن عباس يناظرهم في ذلك، واتَّبعه على قوله طائفةٌ من السلف والخلف، وإن كان قول جمهور الصحابة - عمرَ وعثمانَ وعليٍّ وابن مسعودٍ - أرجحَ.

ومفاريدُ ابن عباس في الفرائض خمسة، وكذلك ابن مسعودٍ انفرد بخمسة مسائلَ، ولم ينكروا عليه، بل وافقه طائفةٌ من التابعين، وكذلك زيد بن ثابتٍ انفرد عن الصحابة بقوله في الجدِّ والإخوة الذي خالف فيه جمهورَ الصحابة؛ فإنَّ الصحابة في الجد والإخوة على قولين:

* فجمهورهم يُسقطون الإخوة، ويجعلون الجدَّ أبًا، كأبي بكرٍ وابن عباسٍ وعائشة وابن الزبير، وروي ذلك عن أربعة عشر من الصحابة، مثل: أُبيِّ بن كعبٍ وأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبلٍ وغيرهم.

* والذين ورَّثوا الإخوة مع الجدِّ -منهم عثمان وعلي وابن مسعودٍ- رُوي عنهم القول الآخر، وأنهم أسقطوا الإخوة.

وكذلك عمر بن الخطاب، روي عنه هذا، وهذا، والوقفُ، وثبت ذلك عنه بإسنادٍ صحيحٍ.

ثم المورِّثون له - كعليٍّ وعثمانَ وابن مسعودٍ - لم يوافق أحدٌ منهم زيدَ بن ثابتٍ على ما قاله في الجدِّ من أنه يقاسم الإخوة إلى الثلث. . .

فهذه الرأي[١] انفرد بها زيدٌ عن جمهور الصحابة، فلما لم يكن فيها نصٌّ. . لم ينكروها، بل وافقه عليها كثيرٌ من الفقهاء أوأكثرُهم، مع أنها من أضعف الأقوال، وأبعدها عن دلالة الأصول عليها، ورجحان قول جمهور الصحابة وأكابرهم عليها، فعُلم أنهم لم يكونوا يردُّون القول؛ لانفراد الواحد به، بل بالحجَّة.

وكذلك منعَ زيدٌ توريثَ ذوي الأرحام، وجعل المال لبيت المال، وذكروا أنه مما انفرد به زيدٌ، وأنَّ الخلفاء الراشدين، وجمهور الصحابة على خلافه. . . ولكن جمهور السلف والخلف سوَّغوا لزيدٍ، ووافقه عليه كثيرٌ من أئمة العلم.

وقد انفرد عمر وابن مسعودٍ بأنَّ الجنب لا يتيمَّم، وفي المسألة آيتان مِن كتاب الله، وخمسةُ أحاديث عن رسول الله ﷺ.

وانفرد عليٌّ وابن عباسٍ بأنَّ المتوفى عنها الحاملُ تعتدُّ أبعدَ الأجلين، وفي المسألة حديث سُبيعة الأسلمية لما وضعت بعد وفاة زوجها سعد بن خولة بليالٍ، وقال لها أبوالسنابل: ما أنت بناكحةٍ حتى تمضي عليك أربعة أشهرٍ وعشرًا، فقال النبي ﷺ: كذب أبوالسنابل، حللت فانكحي[٢].

وقال أيضا في سرد أعذار الأئمة في مخالفة الأحاديث الصحيحة:

---

(١) يعني المقالة.

(٢) جامع الفصول (٢٥٠).

السبب التاسع: اعتقاده أن الحديث معارض بما يدل على ضعفه، أونسخه، أوتأويله إن كان قابلا للتأويل بما يصلح أن يكون معارضا بالاتفاق، مثل آية، أوحديث آخر، أومثل إجماع، وهذا نوعان: أحدهما: أن يعتقد أن هذا المعارِض راجح في الجملة، فيتعين أحد الثلاثة من غير تعيين واحد منها.

وتارة يعين أحدها بأن يعتقد أنه منسوخ، أوأنه مؤول. ثم قد يغلط في النسخ، فيعتقد المتأخر متقدما، وقد يغلط في التأويل بأن يحمل الحديث على ما لا يحتمله لفظه، أوهناك ما يدفعه، وإذا عارضه من حيث الجملة. . فقد لا يكون ذلك المعارِض دالا، وقد لا يكون الحديث المعارِض في قوة الأول إسنادا أومتنا[١].

وقال أيضا: وفي كثير من الأحاديث يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث، لم نطلع نحن عليها؛ فإن مدارك العلم واسعة، ولم نطلع نحن على جميع ما في بواطن العلماء، والعالم قد يبدي حجته، وقد لا يبديها، وإذا أبداها. . فقد تبلغنا وقد لا تبلغ، وإذا بلغتنا. . فقد ندرك موضع احتجاجه، وقد لا ندركه، سواء كانت الحجة صوابا في نفس الأمر، أم لا، لكن نحن وإن جوزنا هذا فلا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم إلى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحجة وإن كان أعلم؛ إذ تطرق الخطأ إلى آراء العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الإعلام (١٨٧).

الشرعية، فإن الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عباده بخلاف رأي العالم.

والدليل الشرعي يمتنع أن يكون خطأ إذا لم يعارضه دليل آخر، ورأي العالم ليس كذلك[١].

وقال أيضا: قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه**».

وصح عنه من غير وجه أنه قال لمن باع صاعين بصاع يدا بيد: «**أوه عين الربا**» كما قال: «**البر بالبر ربا إلا هاء وهاء**» الحديث.

وهذا يوجب دخول نوعي الربا: ربا الفضل وربا النسأ في الحديث.

ثم إن الذين بلغهم قول النبي ﷺ: «**إنما الربا في النسيئة**» فاستحلوا بيع الصاعين بالصاع يدا بيد؛ مثل ابن عباس رضي الله عنهما وأصحابه: أبي الشعثاء، وعطاء، وطاوس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وغيرهم من أعيان المكيين الذين هم من صفوة الأمة علما وعملا =لا يحل لمسلم أن يعتقد أن أحدا منهم بعينه، أومن قلده بحيث يجوز تقليده =تبلغهم[٢] لعنة آكل الربا؛ لأنهم فعلوا ذلك متأولين تأويلا سائغا في الجملة.

وكذلك ما نقل عن طائفة من فضلاء المدنيين من إتيان المحاش، مع ما رواه أبوداود عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى امرأة في دبرها فهوكافر بما أنزل على محمد ﷺ**».

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام (٢١٢).

(٢) يعني تشملهم اللّعنة.

أفيستحل مسلم أن يقول: إن فلانا وفلانا كانا كافرين بما أنزل على محمد، وكذلك قد ثبت عنه ﷺ أنه لعن في الخمر عشرة: «**عاصر الخمر، ومعتصرها وشاربها**» الحديث.

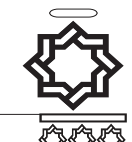
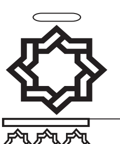
وثبت عنه من وجوه أنه قال: «**كل شراب أسكر فهوخمر**» وقال: «**كل مسكر خمر**». وخطب عمر رضي الله عنه على منبره ﷺ، فقال بين المهاجرين والأنصار: الخمر ما خامر العقل.

وأنزل الله تحريم الخمر، وكان سبب نزولها ما كانوا يشربونه في المدينة، ولم يكن لهم شراب إلا الفضيخ، لم يكن لهم من خمر الأعناب شيء.

وقد كان رجال من أفاضل الأمة علما وعملا من الكوفيين يعتقدون أن لا خمر إلا من العنب، وأن ما سوى العنب والتمر لا يحرم من نبيذه إلا مقدار ما يسكر، ويشربون ما يعتقدون حله. ولا يجوز أن يقال: إن هؤلاء مندرجون تحت الوعيد؛ لما كان لهم من العذر الذي تأولوا به، أولموانع أخر، ولا يجوز أن يقال: إن الشراب الذي شربوه ليس هومن الخمر الملعون شاربها، فإن سبب القول العام لا بد أن يكون داخلا فيه، ولم يكن بالمدينة خمر من العنب[1].



(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام (٢١٢). ولعلَّ ذكر التمر في السياق سبق قلم.

المحور السادس

ضبط مسائل الاجتهاد، ومعذرة الخلاف فيها، واجتناب الإنكار، والإلزام فيها، وعدم تحقيق وعيد، أوذمّ على صاحب الاجتهاد، أومقلد المجتهد التقليد السائغ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ضبط مسائل الاجتهاد: والصواب الذي عليه الأئمة أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبا ظاهرا، مثل حديث صحيح، لا معارض له من جنسه، فيسوغ إذا عدم ذلك فيها الاجتهاد؛ لتعارض الأدلة المتقاربة، أولخفاء الأدلة فيها(١).

وقال شيخ الإسلام سفيان بن سعيد أبوعبد الله الثوري: إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه، وأنت ترى غيره.. فلا تنهه(٢).

وقال أيضا: ما اختلف فيه الفقهاء.. فلا أنهى أحدا من إخواني أن يأخذ به(٣).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: لا أعنِّف من قال شيئا له وجه وإن خالفناه(٤).

---

(١) بيان الدليل على بطلان التحليل (١٦٠).
(٢) كتاب الفقيه والمتفقه (٢/ ١٣٦).
(٣) كتاب الفقيه والمتفقه (٢/ ١٣٥)
(٤) كتاب الفروع (١/ ٢٣٣).

وقال الإمام أبوبكر البيهقي رحمه الله: قد أخبر سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم عما ظهر بعده من اختلاف الأمة، وحذَّرهم متابعةَ أهل الأهواء منهم فيما أحدثوا من البدعة، وحثَّهم على متابعة سنَّته، وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعده من الصحابة، ودلَّهم بالإشارة إلى ما كانوا عليه على الفرقة الناجية، فمن سلك في دينه سبيلَهم، ولزم في متابعة الكتاب والسنة هديهم، فاز فوزًا عظيمًا، ونال حظًّا جسيمًا.

ولعل قائلًا يزعم أنّ المجتهدين من أهل السنَّة والجماعة اختلفوا أيضًا اختلافًا كثيرًا، وتباينوا تباينًا شديدًا، فهم وإن اختلف اجتهادهم فيما يسوغ فيه الاجتهاد.. فقد اجتمعوا من حيثُ لم يخالف واحد منهم كتابًا نصًّا، ولا سنَّة قائمة، ولا إجماعًا، ولا قياسًا صحيحًا عنده، وإنَّ كل واحد منهم قد أدى ما كُلِّف من الاجتهاد، وأحرز الأجر الموعود على طلب الصواب، واختصاصُ بعضهم بإحراز الأجر الموعود على إصابة العين التي أُمر بالاجتهاد في طلبها =فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

والذي لم يصبها غيرُ آثم؛ لأنه إنما كُلِّف في الحكم الاجتهادَ على الظاهر دون الباطن، ولا يعلم الغيبَ إلا الله، فهم - مع اختلافهم هذا النوعَ من الاختلاف - من أهل السنَّة والجماعة.

وأنا أرجوأن لا يؤخذ على واحد منهم أنه قصد أن يخالف كتابًا نصًّا، ولا حديثًا ثابتًا، ولا قياسًا صحيحًا عنده، ولكن قد يجهل الرجلُ السنَّة، فيكون له قول يخالفها، لا أنه عمَد خلافها، وقد يَغْفُل المرء ويخطئ في التأويل، وقد تكون نازلةٌ ويوجد لها في أصلين شَبَه، فيذهب ذاهب إلى

أصل، والآخر إلى أصل غيره، فيختلفان.

وفي حكايات مسائل الفقه عن السلف ما يكشف عن ذلك ويوضحه[١].

قال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر: وفيه[٢] دليل على أن المسألة إذا كان سبيلها الاجتهاد ووقع فيها الاختلاف لم يجز لأحد القائلين فيها عيب مخالفه ولا الطعن عليه؛ لأنهم اختلفوا وهم القدوة، فلم يعب أحد منهم على صاحبه اجتهاده، ولا وجد عليه في نفسه، إلى الله الشكوى، وهو المستعان على أمة نحن بين أظهرها، تستحل الأعراض والدماء إذا خولفت فيما تجيء به من الخطإ[٣].

وقال سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام عز الدين أبومحمد السلمي الدمشقي: واختلاف العلماء رحمة، وعلى هذا فلا يجوز الإنكار إلّا لمن علم أن الفعل الذي نهى عنه مُجْمَع على تحريمه، وأنَّ الفعل الذي يأمر به مجمع على إيجابه. ونعني بالنهي عن الإنكار: أن لا ينكره إنكار الحرام. ولوأنكر إنكار الإرشاد، أوأمر به أمرَ النصح والإرشاد، فذاك نصح وإحسان، ولا يجب الإنكار على من يعلم أنَّ الإنكار لا ينجع فيه، بل هومحبوب؛ لما فيه من نصح المسلم[٤].

---

(١) المدخل إلى علم السنن (٢/ ٤٤٧).

(٢) يعني حديث اختلاف الصحابة في القدوم إلى البلد الذي وقع فيه الطاعون.

(٣) التمهيد (١٢/ ٥٧٠).

(٤) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال (٤٢٨).

وقال شيخ الإسلام: وقد أجمع المسلمون على أن مسائل الاجتهاد لا تدخل في السبب الذي يستحق صاحبه الوعيد[١].

وقال تلميذ الشيخ المحدث الفقيه محمد بن مفلح بن مفرج شمس الدين المقدسي: ومسائل الخلاف لا يلحق فيها الوعيد[٢].

وقال الشيخ أيضا: وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الأمة في الأصول والفروع إذا لم ترد إلى الله والرسول.. لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم فإن رحمهم الله.. أَقَرَّ بعضهم بعضا، ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيقر بعضهم بعضا، ولا يعتدي عليه، وإن لم يُرحموا.. وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض: إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله. وهذه حال أهل البدع والظلم، كالخوارج وأمثالهم، يظلمون الأمة ويعتدون عليهم إذا نازعوهم في بعض مسائل الدين[٣]، وكذلك سائر أهل الأهواء، فإنهم يبتدعون

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/ ٣٠٥).

(٢) كتاب الفروع (٦/ ٣١٦).

(٣) تأمَّل طويلًا في هذا البيان، أليس هاهنا شبه بين غلاة التبديع، وجفاة الخوارج، هذا حال أولئك الخوارج ينازعون الأمة في بعض مسائل الدين، ثم يطورون النزاع إلى الظلم والاعتداء على من لا يوافقهم على فهمهم ومسلكهم، أليس هذا الحال متحقِّقا ظاهرًا اليوم عند العقلاء المنصفين في غلاة التبديع.

بدعة، ويكفرون من خالفهم فيها، كما تفعل الرافضة، والمعتزلة، والجهمية، وغيرهم.

والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكَفَّروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول ﷺ: إما عادلون، وإما ظالمون، فالعادل فيهم الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء، ولا يظلم غيره، والظالم الذي يعتدي على غيره، وهؤلاء ظالمون مع علمهم بأنهم يظلمون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البَيِّنَة: ٤] وإلا فلوسلكوا ما علموه من العدل أقرَّ بعضهم بعضا، كالمقلدين لأئمة الفقه الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل، فجعلوا أئمتهم نوابا عن الرسول، وقالوا: هذه غاية ما قدرنا عليه، فالعادل منهم لا يظلم الآخر، ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل، مثل أن يدعي أن قول متبوعه هوالصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من يخالفه مع أنه معذور(١).

وقال أيضا: إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ لم ينكر على من عمل بها مجتهدا، أومقلدا(٢).

وسُئل شيخ الإسلام عمن يقلد بعض العلماء في مسائل الاجتهاد: فهل يُنكر عليه، أم يُهجر؟ وكذلك من يعمل بأحد القولين؟

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣١١).

(٢) بيان الدليل على بطلان التحليل (١٥٩).

فأجاب:

الحمد لله، مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء.. لم ينكر عليه، ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين =لم ينكر عليه، وإذا كان في المسألة قولان: فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين.. عمل به، وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين[١].

وقال أيضا: كان أئمة أهل السنة والجماعة، لا يلزمون الناس بما يقولونه من موارد الاجتهاد، ولا يكرهون أحدا[٢].

وقال أيضا: كان أئمة السنة والجماعة لا يُلزمون الناس بما يقولونه من موارد الاجتهاد، ولا يكرهون أحدًا عليه، ولهذا لما استشار هارون الرشيد مالك بن أنس في حمل الناس على موطئه، قال له: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار فأخذ كل قوم عمن كان عندهم، وإنما جمعت علم أهل بلدي، أوكما قال[٣].

وقال أيضا: وكان في مسائل النزاع مثل مسائل الفرائض والطلاق يرى رأيا[٤]، ويرى علي بن أبي طالب رأيا، ويرى عبد الله بن مسعود رأيا، ويرى زيد بن ثابت رأيا؛ فلم يلزم أحدا أن يأخذ بقوله، بل كل منهم

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٧).
(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٢٢٩).
(٣) التسعينية (١/ ١٧٧).
(٤) يعني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

يفتي بقوله، وعمر ﷺ إمام الأمة كلها وأعلمهم وأدينهم وأفضلهم، فكيف يكون واحد من الحكام خيرا من عمر؟[١].

وقال أيضا: ومن علم منه الاجتهاد السائغ.. فلا يجوز أن يذكر على وجه الذم والتأثيم له؛ فإن الله غفر له خطأه؛ بل يجب؛ لما فيه من الإيمان والتقوى =موالاته، ومحبته، والقيام بما أوجب الله من حقوقه: من ثناء ودعاء وغير ذلك[٢].

وقال الشيخ أيضًا: لكن الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغى، لا لمجرد الاجتهاد.

كما قال تعالى: ، وقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. فلا يكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ بل مع نوع بغى[٣].

وقال الإمام ابن القيم: إذا لم يكن في المسألة سنَّة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ.. لم ينكر على من عمل بها مجتهدا، أومقلدا[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣٤).

(٣) كتاب الاستقامة (١/ ٣١).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٢٣٢).

روى أبوبكر البيهقي ﵀ بسنده عن عبيد بن أبي فروة قال: سمعت يحيى بن ضُرَيس يقول: شهدت سفيان، وأتاه رجل فقال له: ما تنقم على أبي حنيفة؟ قال: وما له؟ قال: سمعته يقول: آخذ بكتاب الله، فما لم أجد فبسنَّة رسول الله ﷺ، فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنَّةٍ أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم، وأدع قول من شئت منهم، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فأما إذا انتهى الأمر - أو جاء الأمر - إلى إبراهيم، والشعبي، وابن سيرين، والحسن، وعطاء، وسعيد بن المسيب، وعدَّد رجالًا، فقوم اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا.

قال: فسكت سفيان طويلًا، ثم قال كلمات برأيه، ما بقي في المجلس أحد إلا كتبه: نسمع الشديد من الحديث فنخافه، ونسمع اللين فنرجوه، ولا نحاسب الأحياء، ولا نقضي على الأموات، نسلم ما سمعنا، ونكل ما لا نعلم إلى عالمه، ونتهم رأينا لرأيهم(١).

فَذَلَكَة

شيخ الإسلام ابن تيمية إمام من أئمة المسلمين في السنَّة، وعلم من أعلامهم في العمل والعلم رواية ودراية، والذهبي إمام من أئمة المسلمين في السنَّة أيضًا، وحافظ من حفاظهم، ومع ذلك كان بينهما خلاف في مسائل أصلية ومسائل فرعية، ولم يمكن طَيُّ بساط هذا الخلاف بينهما وشَطْبه، فكان ماذا! أليس فيهما القدوة في سعة الصدر، وتوسيع نطاق المعذرة بين صفوف أهل السنة والحديث.

(١) المدخل إلى علم السنن (٢/ ٦٣٠).

قال الإمام الذهبي في الإشارة إلى هذا الخلاف: مع أنِّي مخالف له [يعني شيخ الإسلام] في مسائل أصلية، وفرعية. قد أبديت آنفًا أنَّ خطأه فيها مغفور، بل قد يثيبه الله تعالى فيها على حسن قصده وبذل وسعه. والله الموعد.

إيقاظ:

المسلم الصادق يتقلب بين الخوف من الله ﷻ، والرجاء لرحمة الله سبحانه وتعالى، فالخوف والرجاء صفتان متلازمتان في حقِّ المسلم الصادق.

قد أثنى الله تبارك وتعالى على بعض أنبيائه بالرغب والرهب، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبيَاء: ٩٠] فإذا جاء التخويف والترهيب من الأخ المسلم الصادق الناصح المحب الخير لإخوانه المسلمين.. فعلى المسلم المُخَوَّف الحريص على تخليص نفسه من عذاب الله أن يتقبَّل ذلك التخويف بقلب رحب، وأن يقيم اعوجاج نفسه؛ فإنَّ المسلم قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

روى شيخ الإسلام عبدالله بن المبارك عن الحسن قال: إنَّ المؤمن شعبة من المؤمن، إنَّ به حاجته، إنَّ به علَّته، يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، إن رأى منه ما لا يعجبه سدَّده وقوَّمه ووجَّهَه، وحاطه في السرِّ والعلانية[١].

---

(١) كتاب الزهد والرقائق (١/ ٢٣٢).

وروى الإمام أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن بلال بن سعد قال: بلغني أنَّ المسلم مرآة أخيه، فهل تستريب من أمري شيئًا[(١)].

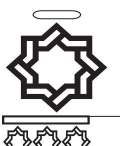
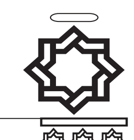
ولكن إن جاء التخويف على صهوة حمار التطاول والتشهير فلا قبول له ولا كرامة.

وقد جاء ذلك التخويف في كلمات بعض الناس، فإن كان تخويفهم نابعًا من قلوب معمورة بحب الخير لإخوانهم المسلمين، وصدق النصح لهم.. فقد وصلت الكلمات، وهي جديرة بأن تُؤثِّر في المُخَوَّفين.

وإن كان تخويفهم سهمًا من أسهم النكاية في الآخرين، ولونًا من ألوان الانتقام منهم.. فأنفسهم أولى بالتخويف، وأجدر بالرعاية من الآخرين، والمُخوَّفون يعرفون كيف يخافون الله.



(١) كتاب الزهد (١/ ٦٣٨).

المحور السابع

قِدَم الاختلاف، وبقاؤه إلى يوم القيامة، وإقرار الاختلاف السائغ وتَقَبُّله اعتقادا وعملا والتعايش معه درءا للفتن والافتراق، والتآكل الدّاخلي

خلق الله الناس متباينين في الخَلق والخُلق، وفي المدارك والمفاهيم، فراعى فيهم هذا التفاوت فما بينهم، فلم يأمرهم أن يَصْدُرُوا عن فهم واحد فيما ينوبهم من النوازل والوقائع، ولم يكلِّفهم وحدة الفهم والاستنباط فيما ينظرون فيه من نصوص وأدلة.

قال الإمام أبومحمد بن حزم: إنَّ الناس مختلفون في هممهم واختيارهم، وآرائهم وطبائعهم الداعية إلى اختيار ما يختارونه، وينفرون عما سواه، متباينون في ذلك تباينا شديدا متفاوتا جدا، فمنهم: رقيق القلب، يميل إلى الرفق بالناس، ومنهم: قاسي القلب شديد، يميل إلى التشديد على الناس، ومنهم: قوي على العمل مجد إلى العزم والصبر والتفرد، ومنهم: ضعيف الطاقة، يميل إلى التخفيف، ومنهم: جانح إلى لين العيش، يميل إلى الترفيه، ومنهم: مائل إلى الخشونة، مجنح إلى الشدة، ومنهم: معتدل في كل ذلك يميل إلى التوسط، ومنهم: شديد الغضب، يميل إلى شدة الإنكار، ومنهم: حليم، يميل إلى

الإغضاء[١].

قال الإمام ابن القيم: ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري، لا بد منه؛ لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله.. لم يضر ذلك الاختلاف، فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية[٢].

وقال الإمام أبوإسحاق الشاطبي: فتأملوا - رحمكم الله - كيف صار الاتفاق محالا في العادة؛ ليصدق العقل بصحَّة ما أخبر الله به[٣].

وقع الخلاف في فجر الإسلام بين أزكى الناس نفسا، وأفضلهم دينا، وأَحَدِّهم فهما، بعد الأنبياء والرسل، إنّهم أصحاب رسول الله ﷺ، فالساعي إلى إلغاء الاختلاف بين الناس ساع إلى غير مطلوب شرعا، وطامع في غير مطمع.

ووقع الخلاف بين يدي رسول الله ﷺ بين الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وارتفعت أصواتهما، ولم ينكر رسول الله ﷺ عليهما هذا الخلاف.

روى البخاري (٤٨٤٥) عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيِّران أن يهلكا

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٤/ ١٣٨).
(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٢٦٩).
(٣) الاعتصام (٣/ ٢٨٧).

أبا بكر وعمر ﵄، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بالقعقاع بن معبد بن زُرارة، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَّ إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ [الحُجرَات: ٢].

وروى أسد بن موسى في فضل الصحابة ويعقوب بن سفيان في كتاب المعرفة والتاريخ عن عبدالرحمن بن غنم أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: لو أنَّكما تتفقان على أمر واحد ما عصيتكما في مشورة أبدا. قال الحافظ ابن حجر: لا بأس بسنده[١].

واختلفا ﵄ أيضًا في العطاء وتقسيم الأموال العامة بين المسلمين.

روى الإمام أحمد عن عبدالملك بن عمرو، حدثنا عبدالله بن جعفر، عن إسماعيل بن محمد، أن أبا بكر قسم قسمًا فساوى فيه بين الناس، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله، تساوي بين أصحاب بدر وسواهم من الناس! فقال أبو بكر: إنما الدنيا بلاغ، وخير البلاغ أوسعه، وإنما فضلهم في أجورهم[٢].

واختلف أصحاب رسول الله ﷺ يوم بني قريظة في فهم ما قاله لهم رسول الله ﷺ، وهو بين أظهرهم، ففهم بعضهم ما قاله لهم الرسول ﷺ

---

(١) فتح الباري (٢٤/ ١٨٦).
(٢) كتاب الورع (ص٤٢).

فهما يخالف ما فهمه البعض الآخر، وعمل كل بحسب فهمه واجتهاده، ولم يُخطِّئ رسول الله ﷺ فريقا، ولم يصوب فريقا.

روى الشيخان من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما - واللفظ لمسلم - عن عبدالله قال: نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف عن الأحزاب أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة، فتخوف ناس فوت الوقت، فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ، وإن فاتنا الوقت، قال: فما عنف واحدا من الفريقين[(١)].

قال شيخ الإسلام: وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه عام الخندق: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدركتهم صلاة العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي إلا في بني قريظة، وقال بعضهم: لم يرد منا هذا، فصلوا في الطريق، فلم يعب واحدة من الطائفتين.

فالأولون تمسَّكوا بعموم الخطاب، فجعلوا صورة الفوات داخلة في العموم، والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم، وأنَّ المقصود المبادرة إلى القوم. وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء اختلافا مشهورا: هل يخص العموم بالقياس؟ ومع هذا فالذين صلَّوا في الطريق كانوا أصوب[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري (ح٤١١٩) وصحيح مسلم (١٨١٨).
(٢) رفع الملام عن الأئمة الأعلام (١٩٢).

روى الإمام أبونعيم الأصبهاني، عن موسى الجهني قال: كان طلحة إذا ذكر عنده الاختلاف قال: لا تقولوا: الاختلاف، ولكن قولوا: السعة[١].

وروى الإمام أبوعمر بن عبد البر: عن يحيى بن سعيد قال: ما برح المُسْتَفْتَوْنَ يُسْتَفْتَوْنَ، فيحل هذا، ويحرم هذا، فلا يرى المحرم أن المحلل هلك؛ لتحليله، ولا يرى المحلل أن المحرم هلك؛ لتحريمه[٢].

وروى الإمام آدم بن أبي إياس أبوالحسن العسقلاني وغيره عن رجاء بن جميل الأيلي قال: اجتمع القاسم بن محمد وعمر بن عبد العزيز فتذاكرا العلم، فذكر عمر اختلاف العلماء، فشق ذلك على القاسم، فقال له عمر: لا تفعل فما يسرني باختلافهم حُمْرُ النعم[٣].

قال الإمام أحمد بن محمد بن هارون أبوبكر الخلال في ترجمة المسند الجليل إسحاق بن بهلول: وهورجل كان عنده إسناد، وقد كان خرَّج خمسة أجزاء، وسماها «كتاب الاختلاف» فعرضها على أبي عبد الله، وكانت مسائل جيادا، يعرض عليه الأقاويل، ويجيبه فيها على مذهبه.

سمعت ابنه يحكي عن أبيه قال: قال لي أبوعبد الله: لا تسمه «كتاب الاختلاف»، ولكن سمه كتاب السَّعَة.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١٩).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٤٠).
(٣) كتاب العلم والحلم (١٨٦).

وسمعت هذا الكتاب ونظرت فيه بطرسوس، فكتبت ما كان فيه لأبي عبد الله، وما احتجت إليه من الحديث[١].

وروى الإمام أبوبكر الخطيب البغدادي بسنده وغيره عن أحمد بن حفص السعدي يقول: ذكر أحمد بن حنبل - وأنا حاضر - إسحاق بن راهويه، فكره أحمد أن يقال: راهويه، وقال: إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وقال: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء؛ فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضا[٢].

وقال أيضا: لا تحمل الناس على مذهبك.

قال أبوالوفاء بن عقيل: يعني دعهم يترخصون بمذاهب الناس[٣].

وقال الإمام علي بن خلف بن عبد الملك أبوالحسن بن بطال بعد إيراده حديث انتقال أبي ذر رحمه الله إلى الربذة: وفيه: جواز الاختلاف والاجتهاد فى الآراء، ألا ترى أن عثمان ومن كان بحضرته من الصحابة لم يردوا أبا ذر عن مذهبه، ولا قالوا له: إنه لا يجوز لك اعتقاد قولك؛ لأن أبا ذر نزع بحديث النبى ﷺ، واستشهد به، وذلك قوله ﷺ: «ما أحب أن لي مثل أُحُدٍ ذهبًا أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير» وكذلك حين أنكر على أبى هريرة نصل سيفه، استشهد على ذلك بقوله

(١) طبقات أصحاب الإمام أحمد (٨٢).
(٢) تاريخ مدينة السلام (٧/ ٣٦٦).
(٣) الواضح في أصول الفقه (١/ ٢٧٩)، وكتاب الفروع (٣/ ١٥٢).

ﷺ: «من ترك صفراء أوبيضاء كوي بها». **وهذا حجة في أن الاختلاف في العلم باق إلى يوم القيامة، لا يرتفع إلا بإجماع**[١].

وقال الإمام منصور بن محمد بن عبد الجبار أبوالمظفر السمعاني رحمه الله: فأما الذى يسوغ فيه الاختلاف - وهي فروع الديانات إذا استخرجت أحكامها بأمارات الاجتهاد، ومعاني الاستنباط -.. فاختلاف العلماء فيه مسوغ، ولكل واحد منهم أن يعمل فيه مما يؤدي إليه اجتهاده[٢].

وقال الإمام النووي: وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه، ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق، واختلافهم في ذلك.. فليس منهيا عنه، بل هومأمور به، وفضيلة ظاهرة، **وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن**[٣].

وقال شيخ الإسلام بن تيمية: وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا معصية، كما أنكر شريح قراءة من قرأ ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصَّافات: ١٢] وقال: إن الله لا يعجب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي، فقال: إنما شريح شاعر يعجبه علمه. كان عبد الله أعلم منه، وكان يقرأ ﴿بَلْ عَجِبْتَ ﴿١٢﴾﴾ [الصَّافات: ١٢].

---

(١) شرح صحيح البخاري (٣/ ٤٠٧).
(٢) القواطع في أصول الفقه (٣/ ١٢٠٤).
(٣) منهاج المحدثين (١٤/ ٢١٩).

وكما نازعت عائشة وغيرها من الصحابة في رؤية محمد ربه ﷺ، وقالت: من زعم أن محمدا رأى ربه.. فقد أعظم على الله الفرية، ومع هذا لا نقول لابن عباس ونحوه من المنازعين لها: إنه مفتر على الله.

وكما نازعت في سماع الميت كلام الحي، وفي تعذيب الميت ببكاء أهله، وغير ذلك.

وقد آل الشر بين السلف إلى الاقتتال، مع اتفاق أهل السنة على أن الطائفتين جميعا مؤمنتان، وأن الاقتتال لا يمنع العدالة الثابتة لهم؛ لأن المقاتل وإن كان باغيا فهومتأول، والتأويل يمنع الفسوق[(١)].

وقال أيضا: فجماع هذا أن هذه الأمور تعطى حقها من الكتاب والسنة، فما جاء به الكتاب والسنة من الخبر والأمر والنهي.. وجب اتباعه، ولم يلتفت إلى من خالفه كائنا من كان، ولم يجز اتباع أحد في خلاف ذلك كائنا من كان، كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة من اتباع الرسول وطاعته، وأنَّ الرجل الذي صدر عنه ذلك يعطى عذره حيث عذرته الشريعة، بأن يكون مسلوب العقل، أوساقط التمييز، أومجتهدا مخطئا اجتهادا قوليا، أوعمليا، أومغلوبا على ذلك الفعل، أوالترك، بحيث لا يمكنه رد ما صدر عنه من الفعل المنكر بلا ذنب فعله، ولا يمكنه أداء ذلك الواجب بلا ذنب فعله، ويكون هذا الباب

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩). وما ذكره الشيخ إذا عُبِّر بتعبير آخر، يقال فيه: المسائل الاعتقادية، والفروع العملية الفقهية.

نوعه محفوظا[١] بحيث لا يتبع ما خالف الكتاب والسنة، ولا يجعل ذلك شرعة ولا منهاجا؛ بل لا سبيل إلى الله، ولا شرعة إلا ما جاء به محمد رسول الله ﷺ.

وأما الأشخاص الذين خالفوا بعض ذلك على الوجوه المتقدمة.. فيعذرون، ولا يذمون، ولا يعاقبون؛ فإن كل أحد من الناس قد يؤخذ من قوله وأفعاله ويترك إلا رسول الله ﷺ. وما من الأئمة إلا من له أقوال وأفعال لا يتبع عليها، مع أنه لا يذم عليها.

وأما الأقوال والأفعال التي لم يعلم قطعا مخالفتها للكتاب والسنة، بل هي من موارد الاجتهاد التي تنازع فيها أهل العلم والإيمان.. فهذه الأمور قد تكون قطعية عند بعض من بين الله له الحق فيها، لكنه لا يمكنه أن يلزم الناس بما بان له ولم يَبِنْ لهم[٢]، فيلتحق من وجه

(١) كأنَّ الشيخ يعني أنَّ باب ما جاء في الكتاب والسنة محفوظ باتباعهما، لا باتباع المخالف لهما وإن عُذر.

(٢) ما أحسن هذه الدُّرَّة من دُرر شيخ الإسلام، ولوأحسن المتطاولون على نظرائهم اليوم تطبيق هذه الدرة على أرض الواقع.. لاختفى كثير من النزاع، ولاضمحلَّ جلُّ هذه الاعتداءات، يتحدَّث الشيخ -كما ترى- عن نزاع في مسألة قطعية -إي والله- عن مسألة قطعية عند بعض من بيَّن الله له الحق فيها، ولم تبن للبعض الآخر؛ لسبب من الأسباب، فليس من حق البعض الذي بانت له أن يلزم الآخرين بما بان له، بل تلتحق هذه المسألة القطعية من هذه الجهة -فقط- بمسائل الاجتهاد. فأين هؤلاء من هذه الدرة؟ وأين مسائل الاجتهاد من هذه المسألة القطعية؟ سبحان الله أنعيش في زمن التجاهل والمكابرة.

بالقسم الأول، ومن وجه بالقسم الثاني[١].

وقد تكون اجتهادية عنده أيضا، فهذه تسلم لكل مجتهد، ومن قلده طريقهم تسليما نوعيا، بحيث لا يُنكر ذلك عليهم، كما سلم في القسم الأول تسليما شخصيا[٢].

هاهنا بعض التوضيح لكلام الشيخ، النوع أخصُّ من الجنس، كنوع الإنسان أخَصُّ من جنس الحيوان، والنوع بين الجنس والشخص، والشخص أخَصُّ من النوع، كشخص زيد أخص من نوع الإنسان، وليس تحت الشخص أخص منه. ففي خلاف المرء للمسألة الأولى التي جاءت في الكتاب والسنة من الخبر والأمر والنهي يعذر المخالف لها الذي ثبت عذره في كلام الشيخ، وتُسَلَّم له حاله في شخص هذه المسألة، لهذا الشخص فقط، ولا يُعَدَّى العذر إلى غير هذه المسألة وغير هذا الشخص المعذور، ففيها تسليم شخصي.

وأما المسألة الاجتهادية.. فيسلم فيها للمجتهد، ويُسلَّم له حاله فيها، وفي أنواعها ونظائرها، ففيها تسليم نوعي.

وأوضّح هذه القضية بمثال:

روى الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: من صام رمضان، ثم أتبعه ستًّا من شوال كان

(١) القسم الأول ما جاء به الكتاب والسنة من الخبر والأمر والنهي، والقسم الثاني موارد الاجتهاد.
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٨٣).

كصيام الدهر[١]. وله شاهد من حديث جابر بن عبدالله، وثوبان مولى رسول الله ﷺ عند الإمام أحمد في المسند وغيره.

ومع ذلك أنكر الإمام مالك إمام دار الهجرة رحمه الله مشروعية صيام ست من شوال، ففي الموطأ ح (٨٦٤) قال يحيى: وسمعت مالكًا يقول في صيام ستَّة أيَّام بعد الفطر من رمضان: إنَّه لم ير أحدًا من أهل العلم والفقه يصومها، ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف.

وإنَّ أهل العلم يكرهون ذلك، ويخافون بدعته، وأن يُلْحِقَ برمضان ما ليس منه أهلُ الجهالة والجفاء لو رأوا في ذلك رخصة عند أهل العلم، ورأوهم يعملون ذلك. اهـ فحفظ على الإمام مالك رحمه الله ذلك الإنكار، ولم ينل ذلك الإنكار من فضله وإمامته، وأما صيام ستٍّ من شوال فمشروع مستحب، وليس من الخوف من البدعة في شيء.

قال الإمام الذهبي: ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورا له، قمنا عليه، وبدعناه، وهجرناه.. لما سلم معنا، لا ابن نصر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هوهادي الخلق إلى الحق، وهوأرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة[٢].

وقال أيضا: ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب؛ لعلمه ودينه واتباعه السنة.

---

(١) صحيح مسلم (ح١١٨٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠).

وكتابه في «التوحيد» مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف، فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله[١] ورسوله، ولوأن كل من أخطأ في اجتهاده - مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق - أهدرناه، وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه[٢].

وقال أيضًا: وخلائق من كبار العلماء - رحمةُ الله عليهم - بَدَّعَ بعضُهم بعضاً، من الشافعيةِ، والحنفيةِ، والحنابلةِ، وأهلِ الأثرِ، وأهل الكلامِ، ومثبتةِ الصفات القرآنية لا الخبرية، ومثبتةِ السبعة دون غيرها، ومثبتةِ ما ثبت من الأخبار[٣] دون ما حَسُن، على اختلاف آرائهم، ومبالغة بعضهم في التنزيه والتأويل، أومبالغة بعضهم في الإقرارِ والإمرارِ، وذَمِّ التأويل، فبَيْنَ هؤلاء نزاع، وخلاف شديد مع إيمانهم الكل بالله[٤]، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث، والقدر، والانقياد للكتاب، والصحاح، والإجماع، وتعظيم الرّب، وإجلاله، ومراقبته، والانقيّاد لرسول الله ﷺ، والخضوع له، والمحافظة على الفرائض، والطهارة، والابتهال إلى الله في الهدى والتوفيق، مع الذكاء والعلم.

وبعضهم يتعجّب من بعض كيف خالف في تأويل الصفات، كما

---

(١) يعني علم كيفية صفات الله جَلَّ جَلَالُهُ.
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٦).
(٣) يعني الصحاح.
(٤) بدل من الضمير.

يتعَجَّبُ الآخر منه ومن سعة علومه كيف جمد على إثباتها وأَقَرَّهَا. وبعضهم يتعْجَّبُ مِنْ هؤلاء ومِن هؤلاء كيف لم يسكتُوا كما سكت الجمهور، وفوّضوا ذلك إلى الله ورسوله[١]، حتى إن التلميذَ يتعجَّب من شيخه، والمفضولَ منهم مِنَ الأفضل، ونحن نرجو للجميع العفو والمغفرة، ونَعُدُّ خطأهم مع بذل الوسع، وحسن النية في الأصول والفروع شيئاً واحداً. أعني أرباب هذا التنوع، الذين لا مَحِيْدَ لهم عن الكتاب والسُّنة.

وأمَّا بدَعُ العبادات، والعادات، فخطبها يسير[٢]، كتلاوة جماعة بتطريب، وأذانهم، وصلاة النصف، والحلاوة فيه، وأمثال ذلك من الشعارات، والهيئات، والنِّيَّات، والحوادث وأشباه ذلك، ولكنّ الخير كله في الاتّباع واجتماع الكلمة.

أما مشابهة الذِّمة[٣] في الميلاد، والخميس، والنيروز، فبدعة وَحْشَةٌ[٤].

فإن فَعلها المسلم تديُّناً .. فجاهل، يزجر وُيعَلَّم، وإن فعلها حُبّاً [لأهل الذِّمة] وابتهاجاً بأعيادهم .. فمذموم أيضاً، وإنْ فعلها عادةً

---

(١) يعني التفويض لكيفية صفات الله ﷻ.

(٢) بالنسبة إلى بدع الاعتقادات، وإلا فخطبها جلل.

(٣) يعني أهل الذمة.

(٤) وللمؤلف رسالة صغيرة مطبوعة في ذمِّ هذه الأعياد، سمَّاها: «تشبه الخسيس بأهل الخميس».

ولعباً، وإرضاءً لعياله، وجبراً لأطفاله .. فهذا محل نظر، وإنما الأعمال بالنيَّات، والجاهل يُعذر ويبين له برفق. والله أعلم[١].

وقال الإمام ابن القيم: فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان، ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه.. فهو ممن هُدي لما اختلف فيه من الحق.

فهذا أعلم الناس، وأهداهم سبيلا، وأقومهم قيلا. **وأهل هذا المسلك إذا اختلفوا فاختلافهم اختلاف رحمة وهدى، يقر بعضهم بعضا عليه، ويواليه، ويناصره**، وهوداخل في باب التعاون والتناصر الذي لا يستغني عنه الناس في أمور دينهم ودنياهم بالتناظر والتشاور، وإعمالهم الرأي، وإجالتهم الفكر في الأسباب الموصلة إلى درك الصواب، فيأتي كل منهم بما قدحه زناد فكره، وأدركه قوة بصيرته. فإذا قوبل بين الآراء المختلفة، والأقاويل المتباينة، وعرضت على الحاكم الذي لا يجور، وهوكتاب الله وسنَّة رسوله، وتجرد الناظر عن التعصب والحمية، واستفرغ وسعه، وقصد طاعة الله ورسوله.. فقل أن يخفى عليه الصواب من تلك الأقوال، وما هوأقرب إليه، والخطأ، وما هوأقرب إليه؛ فإن الأقوال المختلفة لا تخرج عن الصواب، وما هوأقرب إليه، والخطأ، وما هوأقرب إليه، ومراتب القرب والبعد متفاوتة.

وهذا النوع من الاختلاف لا يوجب معاداة، ولا افتراقا في الكلمة،

(١) جزء في التمسك بالسنن (ص٤٧).

ولا تبديدا للشمل؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل كثيرة من مسائل الفروع، كالجد مع الإخوة، وعتق أم الولد بموت سيدها، ووقوع الطلاق الثلاث بكلمة واحدة، وفي الخلية، والبرية، والبتة، وفي بعض مسائل الربا، وفي بعض نواقص الوضوء، وموجبات الغسل، وبعض مسائل الفرائض، وغيرها، فلم ينصب بعضهم لبعض عداوة، ولا قطع بينه وبينه عصمة، **بل كانوا كل منهم يجتهد في نصر قوله بأقصى ما يقدر عليه، ثم يرجعون بعد المناظرة إلى الألفة والمحبة والمصافاة والموالاة من غير أن يضمر بعضهم لبعض ضغنا، ولا ينطوي له على معتبة، ولا ذم**، بل يدل المستفتي عليه مع مخالفته له، ويشهد له بأنه خير منه، وأعلم منه. فهذا الاختلاف أصحابه بين الأجرين والأجر، وكل منهم مطيع لله بحسب نيته واجتهاده وتحريه الحق[(١)].

۞ إيقاظ:

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن بقوَّة: إذا كان الاختلاف السائغ لا يلد افتراقا ولا اعتداء فما هوالاختلاف الذي يُفرِّخ الافتراق والتدابر والتقاطع؟

والجواب أنَّ الاختلاف الذي يصدر عنه بلاء التفرق والتباغض والتعادي والتشاقُّ يكمن في هذه الأمور:

١- اتخاذ مصدر في الدين يصدر عنه الصادر غيرِ كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجماع مجتهدي أهل العلم، وأقيستهم الصحيحة.

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٢٦٧).

٢- الاختلاف في أصول العقائد الكبرى.

٣- التشهير والتطاول على المسلم الذي ينتهج هذه الأصول الأربعة في الدين، ويلتزم بها في عقائده وعباداته ومعاملاته حين يخالف حديثًا مقبولًا فضلًا عن رأي شخصٍ، وله عذر مقبول لدى أهل العلم في خلافه.

٤- البغي على المسلم الذي ينتهج هذه الأصول حين يخالف في مسألة اجتهادية، أوفي نازلة حادثة، والتجاهل عن الطريقة المثلى للتعامل مع مسائل الاجتهاد، وموارد الأحداث(١).

٥- الاختلاف في السياسة وفي السلم والحرب.

قال العلامة الفقيه الأصولي تقي الدين السبكي: والذي نقطع به - ولاشك فيه - أن الاتفاق خير من الاختلاف، وأن الاختلاف على ثلاثة أقسام:

أحدهما: في الأصول، ولاشك أنه ضلال، وسبب كل فساد، وهو المشار إليه في القرآن.

---

(١) قال الإمام الحافظ الذهبي: حكي عنه -يعني الإمام المجتهد إبراهيم بن علي بن يوسف أبا إسحاق الشيرازي الشافعي- قال: كنت نائما ببغداد، فرأيت النبي ﷺ ومعه أبوبكر، وعمر، فقلت: يا رسول الله! بلغني عنك أحاديث كثيرة عن ناقلي الأخبار، فأريد أن أسمع منك حديثا أتشرف به في الدنيا، وأجعله ذخرا للآخرة، فقال لي: يا شيخ! - وسماني شيخا، وخاطبني به. وكان يفرح بهذا - قل عني: من أراد السلامة، فليطلبها في سلامة غيره. اهـ أظن - والله أعلم - أنَّ المعنى من أراد السلامة لنفسه فليسلم منه غيره؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل في الإسلام.

والثاني: في الآراء والحروب.

ويشير إليه قوله ﷺ: «**تطاوعا ولا تختلفا**»وكان ذلك خطابًا منه ﷺ لمعاذ وأبي موسى لما بعثهما إلى اليمن. ولاشك أيضًا أنَّه حرام؛ لما فيه من تضييع المصالح الدينيَّة والدنيوية[(١)].

وهاهنا أمران في غاية الوضوح لمن استبصر وأنصف، ولم تستهوه المغالطة والمكايدة، ولا المنابذة والمنافرة، وهما: اتباع الحديث المقبول المحكم، وعذر المخالف له المقتدي بأصول أهل السنة والجماعة في الأصل، ولا يلزم من عذره إهدار اتباع هذا الحديث المحكم، فنتبع الحديث ونقتدي به، ونعذر المخالف له، ونحاول صرفه إلى الحديث، ولا نعين عليه الشيطان، ونسلم من المناطحة والمواجهة في غير طائل.

والجمع بينهما هومفترق الطرق بين أهل الإنصاف والاتباع، وأهل الغلو والإقذاع، فأهل الإنصاف يتبعون الآثار المحمدية، ويعذرون السُّنِّي المعذور ويسترون، وأهل الغلو يهتكون ولايسترون، ويلدغون ولا يعذرون.

والجمع هوالكفيل برفع شرر الشَّرِّ، وتنفيس الاحتقان عن كثيرين من الذين جثم الضغن في صدورهم، وكدَّر صفو مشاعرهم.

وتلك مثارات التَّنازع، وعقدة التفرُّق، ومجلب العداوات

---

(١) قضاء الأرب في أسئلة حلب (٢٦٦).

والاعتداءات، فليربأ المسلم السنِّي بنفسه عن هذه البؤر الموبوءة.

قال شيخ الإسلام: وفي زماننا لوأسلم قوم في بعض الأطراف، ولم يعلموا وجوب الحج، أولم يعلموا تحريم الخمر. . لم يحدوا على ذلك. وكذلك لو نشأوا بمكان جهل.

وقد زنت على عهد عمر امرأة، فلما أقرت به، قال عثمان: إنها لتستهل به استهلال من لم يعلم أنه حرام. فلما تبين للصحابة أنها لا تعرف التحريم لم يحدوها. واستحلال الزنا خطأ قطعا.

والرجل إذا حلف على شيء يعتقده كما حلف عليه فتبين بخلافه، فهومخطئ قطعا، ولا إثم عليه بالاتفاق، وكذلك لا كفارة عليه عند الأكثرين.

ومن اعتقد بقاء الفجر فأكل، فهومخطئ قطعا إذا تبين له الأكل بعد الفجر، ولا إثم عليه، وفي القضاء نزاع. وكذلك من اعتقد غروب الشمس، فتبين بخلافه، ومثل هذا كثير.

وقول الله تعالى في القرآن: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] قال الله تعالى: قد فعلت. ولم يفرق بين الخطأ القطعي والظني، **بل لا يجزم بأنه خطأ إلا إذا كان أخطأ قطعا.**

قالوا:[١] فمن قال: **إن المخطئ في مسألة قطعية أوظنية يأثم. . فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع القديم.**

(١) هذا قول السلف وأئمة الفتوى.

قالوا: وأيضا فكون المسألة قطعية أو ظنية هو أمر إضافي بحسب حال المعتقدين، ليس هو وصفا للقول في نفسه؛ فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة، أو بالنقل المعلوم صدقه عنده، وغيره لا يعرف ذلك لا قطعا ولا ظنا، وقد يكون الإنسان ذكيا قوي الذهن سريع الإدراك علما وظنا، فيعرف من الحق ويقطع به ما لا يتصوره غيره ولا يعرفه، لا علما ولا ظنا؛ فالقطع والظن يكون بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلة، وبحسب قدرته على الاستدلال.

والناس يختلفون في هذا وهذا، **فكون المسألة قطعية أوظنية ليس هوصفة ملازمة للقول المتنازع فيه، حتى يقال: كل من خالفه قد خالف القطعي**، بل هوصفة لحال الناظر المستدل المعتقد، وهذا مما يختلف فيه الناس[١].

والخلاصة أنَّ المرء إذا كان يحسن الظن ببحوثه وينظر إليها بعين الإعجاب والاختيار، ويرى أنَّ بحوثه مُوثَّقة مُوفَّقة تصدر عن الحق الصرف، ويرى بحوث غيره من أهل السنة والحديث مُزَوَّقة مستهجنة تصدر عن الخلط والكدر، فينظر إليها بعين الازورار والازدراء.. فمن حَقِّه أن يعرض بحوثه على الناس على طبق الإخلاص والأدب، وهو الأدب المفقود اليوم إلا ما شاء الله، ولكن ليس من حقِّه عقلًا ولا شرعًا أن يَقرِن عرضه بقَرْض عِرْض أخيه السنِّي وتجهيله والتَّمَعْلُم عليه

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٩٠).

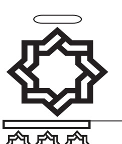
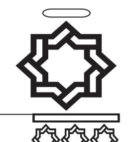
والتنفير منه. هذا في الحقيقة مكمن الداء العُضال، ومثار الافتراق، ومادَّة النزاع، فليربأ العاقل بنفسه عن هذا الحمأ.

فائدة: قال العلَّامة الأصولي الفقيه أحمد بن عمر بن يوسف أبو بكر الخفاف الشافعي المتوفَّي بين (٣٠١) و(٣٤٥): حكى المزني عن الشافعي - رحمة الله عليهما - أنه قال: جميع ما اختلف الناس فيه سبع خصال:

- المنازعة في تثبيت الشيء ونفيه.
- والثاني: ناسخه ومنسوخه.
- والثالث: عمومه وخصوصه.
- والرابع: مجمله ومفسره.
- والخامس: حتمه وندبه.
- والسادس: شَبَهُ الحادثة بالأصول.
- والسابع: الاستحسان والاجتهاد وتثبيت القياس[١].



(١) كتاب الأقسام والخصال عن الإمام الشافعي في الحلال والحرام (١٦٥).

المحور الثامن
الاكتفاء بالنصح السِّرِّيِّ للمخطئ من أهل السنة والجماعة، والحذر من التشهير بأخطائه والتشنيع بها

العصمة لرسول الله ﷺ وحده دون سائر الناس، فلابدَّ أن توجد الأخطاء العلمية والعملية فيما يكتبه الناس ويقولونه.

ورحم الله الإمام مالكًا قال في حكمة سامية سائرة: كلٌّ يؤخذ من قوله، ويُرَدُّ عليه إلا صاحب هذا القبر. يقصد الرسول ﷺ.

ولكن الشأن كل الشأن في طريقة تصحيح الخطأ وتقويم الأود، واستبقاء الأخوة الإيمانية.

ويبرز في هذا الصدد طرفان ووسط كسائر القضايا العلمية، فمن الناس من يهتبل الأخطاء، وينتهز الفرص للإيقاع فيمن تصدر منه الأخطاء، لتغذية خصومات معه، وتسجيل مواقف طائفية، وتصفية حسابات سابقة، ومن الناس من يلزم السكوت المطبق، فلا ينطق ببنت شفة تجاه الأخطاء الظاهرة المضرة بدين الناس ودنياهم.

وخير الأمور الوسط وغيره الشطط، فينبغي أن يكون التصحيح للخطأ على وجه الإخلاص واحتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى والنصح للمخطئ والسَّتر له، وأن يتسامى عن التشهير بأخطاء المخطئ، ويتطهر

من التسخيف والتسفيه له حتى يأخذ النصح مجراه ويفيد الناصح والمنصوح.

قال الإمام الحافظ سفيان بن عيينه بن أبي عمران الهلالي: قلت لمسعر: أتحب أن يخبرك رجل بعيوبك؟ قال: أمَّا أن يجيء إنسان فَيُوَبِّخَنِي بها فلا. وأما أن يجيء ناصحًا فنعم(١).

وقال الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي: كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمره في ستر، ونهاه في ستر، فيؤجر في ستره، فيؤجر في نهيه. فأمَّا اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره استغضب أخاه، وهتك ستره(٢).

وقال الإمام الحافظ الزاهد فضيل بن عياض بن مسعود الخراساني: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويُعَيِّر.

قال الحافظ ابن رجب: فهذا الذي ذكره الفضيل من علامات النُّصح والتَّعيير، هو أنَّ النصح يقترن به السَّتْر، والتعيير يقترن به الإعلان. وكان يقال: من أَمَرَ أخاه على رؤوس الملأ فقد عيَّره(٣).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: من وعظ أخاه سِرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه(٤).

---

(١) روضة العقلاء (٤٣٧).
(٢) روضة العقلاء (٤٣٦).
(٣) الفرق بين النصيحة والتعيير ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٤١٠).
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٤٠).

وقال أيضًا:

تَعَمَّدْنِي بِنُصْحِك في انفرادِي وجنِّبني النَّصيحة في الجماعهْ
فإنَّ النُّصح بين الناس نَوع من التوبيخ لا أرضى استماعهْ
وإنْ خالَفْتَنِي وعَصَيتَ قَولي فلا تَجْزَعْ إذا لم تُعْطَ طاعَهْ[(١)]

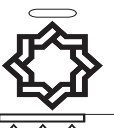
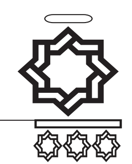
وقال الإمام الحافظ الجهبذ شيخ المحدِّثين يحيى بن معين بن عون أبو زكريا العطفاني: ما رأيت على رجل خطأ إلَّا سترته، **وأحببت أن أُزَيِّنَ أمره**، وما استقبلت رجلًا في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أُبَيِّنُ له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك، وإلَّا تركته[(٢)].

وقال الإمام الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي: النصيحة تجب على الناس كافَّة على ما ذكرنا قبل، ولكن إبداؤها لا يجب إلا سِرًّا؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه، ومن وعظه سِرًّا فقد زانه، وإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أحرى من القصد فيما يشينه.

وقال أيضًا: النصيحة إذا كانت على نعت ما ذكرنا تقيم الأُلفة، وتُؤَدِّي حقَّ الأخوَّة. وعلامة الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن يَنصحه سِرًّا، وعلامة من أراد شينه أن ينصحه علانية[(٣)].



(١) ديوان الإمام الشافعي (٦٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٣).
(٣) روضة العقلاء (٤٣٦، ٤٣٨).

المحور التاسع

شيخ الاسلام يثني على الأشعري والأشعرية ببعض خصالهم الحميدة، بل ويرغِّب في ذلك ويدعوإليه، ويسعى بنفسه إلى التصالح والتقارب بينهم وبين الحنابلة، ويعتبر ذلك من السعي الداخل في طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ، ويعلن التعاون الشرعي مع أضعف الأشعرية في زمانه علما و دينا وخلقا[١] - حسب تقويم الشيخ - القاضي وحده من بين خصوم الشيخ بإهانته وسجنه، بل وقتله، الجامع بين كونه خصما له متطاولا عليه، وقاضيا عليه.

وهذا الموقف من مواقف الشيخ المشرقة الدالة على التجرد من حظوظ النفس رحمه الله.

قال الشيخ: ولهذا اصطلحت الحنبلية و الأشعرية، و اتفق الناس كلهم. و لما رأى الحنابلة كلام أبي الحسن الأشعري.. قالوا: هذا

(١) هو علي بن مخلوف بن ناهض زين الدين أبوالحسن المالكي قاضي المالكية بالديار المصرية نيفا وثلاثين سنة مات سنة ثماني عشرة وسبعمائة.
قال عنه شيخ الإسلام: إنما دخل في هذه القضية ابن مخلوف، وذاك رجل كذاب فاجر قليل العلم والدين، وقال أيضًا: وشهرته بالكذب والفجور يعلمها الخاص والعام. مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣٥، ٢٥٥). وقال الحافظ ابن حجر عنه: كان ابن مخلوف قصير الباع في العلم. رفع الإصر (٣٥٢).

خير من كلام الشيخ الموفق، وزال ما كان في القلوب من الأضغان، وصار الفقهاء من الشافعية و غيرهم يقولون: الحمد لله على اتفاق كلمة المسلمين[١].

وقال أيضا: والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية وحشة، ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفا لقلوب المسلمين، وطلبا لاتفاق كلمتهم، واتباعا لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله، وأزلت عامَّة ما كان في النفوس من الوحشة، وبينت لهم أن الأشعري كان من أجلِّ المتكلمين المنتسبين إلى الإمام أحمد رحمه الله ونحوه المنتصرين لطريقه، كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه[٢].

وقال أيضا: ولما أظهرت كلام الأشعري - ورآه الحنبلية -. قالوا: هذا خير من كلام الشيخ الموفق، وفرح المسلمون باتفاق الكلمة. وأظهرت ما ذكره ابن عساكر في مناقبه أنه لم تزل الحنابلة والأشاعرة متفقين إلى زمن القشيري، فإنه لما جرت تلك الفتنة ببغداد.. تفرقت الكلمة. ومعلوم أن في جميع الطوائف من هو زائغ ومستقيم. مع أني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع أحدا قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي، وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها[٣].

---

(١) محنة شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٨).

وقال أيضا: ذكر أبو إسماعيل الأنصاري قال: سمعت أحمد بن أبي رافع وخلقا يذكرون شِدَّةَ أبي حامد -يعني الإسفرايني- على ابن الباقلاني.

قال: وأنا بلَّغت رسالةَ أبي سعد إلى ابنه سالم ببغداد: إن كنت تريد أن ترجع إلى هراة.. فلا تقرب الباقلاني.

قال: وسمعت الحسين بن أبي أمامة المالكي يقول: سمعت أبي يقول: لعن الله أبا ذر الهروي؛ فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم، وأول من بثَّه في المغاربة.

قلت:[(١)] أبوذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة، وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل =ما هومعروف به. وكان قد قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني، وحملها إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته =من تكلم كأبي نصر السجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني، وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين بما ليس هذا موضعه. وهوممن يرجح طريقة الصِّبْغِي[(٢)] ....

(١) القائل شيخ الإسلام.

(٢) هوالإمام أحمد بن إسحاق بن أيوب أبوبكر النيسابوري المعروف بالصِّبغي. قال أبوالفضل بن إبراهيم:
كان أبوبكر بن إسحاق يخلف إمام الأئمة ابن خزيمة في الفتوى بضع عشرة سنة في الجامع وغيره. =

والثقفي[(١)] على طريقة ابن خزيمة، وأمثاله من أهل الحديث.

وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به، ويأخذون عنه الحديث، وهذه الطريقة، ويدلهم على أصلها، فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق، كما رحل أبوالوليد الباجي، فأخذ طريقة أبي جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي أبي بكر، ورحل بعده القاضي أبوبكر بن العربي، فأخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد.

ثم إنَّه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الردِّ على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين =ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم

= قال الحاكم: سمعت الشيخ أبا بكر، يقول: رأيت في منامي كأني في دار فيها عمر، وقد اجتمع الناس عليه يسألونه المسائل، فأشار إلي أن أجيبهم، فما زلت أسأل وأجيب وهويقول لي: أصبت، امض، أصبت امض.
فقلت: يا أمير المؤمنين، ما النجاة من الدنيا، أوالمخرج منها؟
فقال لي بإصبعه: الدعاء، فأعدت عليه السؤال، فجمع نفسه كأنه ساجد لخضوعه، ثم قال: الدعاء. توفي سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٨٥).

(١) هوالإمام المحدِّث محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن شيخ خراسان أبوعلي الثقفي النيسابوري.
قال أبوأحمد الحاكم: قال شيخنا الصبغي: شمائل الصحابة والتابعين، أخذها مالك الإمام عنهم، وأخذها عن مالك يحيى بن يحيى التميمي، وأخذها عن يحيى محمد بن نصر المروزي، وأخذها عن ابن نصر أبوعلي الثقفي. توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. السير (١٥/ ٢٨٠).

بعلم، وصدق، وعدل، وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء عن المعتزلة، وهم فُضَلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك =منهم: من يعظمهم؛ لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم: من يذمهم؛ لما وقع في كلامهم من البدع والباطل. وخيار الأمور أوساطها.

وهذا ليس مخصوصا بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين.

والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول ﷺ، وأخطأ في بعض ذلك.. فالله يغفر له خطأه تحقيقا للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين، حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

ومن اتبع ظنَّه وهواه، فأخذ يشنِّع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صوابا بعد اجتهاده، وهومن البدع المخالفه للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك، أوأعظم، أوأصغر فيمن يعظمه هومن أصحابه، فقلَّ من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين؛ لكثرة الاشتباه و الاضطراب، وبعد الناس عن

نور النبوة، وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب[١].

وقال أيضا: وإذا قال القائل: هذا الأصل قد قرره مثل أبي الهذيل العلاف، وأبي إسحاق النظام، ومثل الجهم بن صفوان، واتَّبعهم عليه مثل أبي علي، وأبي هاشم، وعبدالجبار بن أحمد، وأبي الحسين البصري وغيرهم، ووافقهم على صحة هذه الطريقة - وهوامتناع حوادث لا أول لها - مثل محمد بن كرام، وابن الهيصم وغيرهما، ومثل أبي الحسن الأشعري، والقاضي أبي بكر، وأبي المعالي، والقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وابن الزاغوني، وأبي عبدالله المازري، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم، بل، ومثل الشريف المرتضى وأمثاله من شيوخ الشيعة، فهؤلاء وأضعافهم يحتج بهذه الطريقة وإن كان أصلها مأخوذا من الجهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف وغيرهما.

قيل لمن قال هذا القول: **الواحد من هؤلاء لم يعظمه من يعظمه من المسلمين إلا لما قام به من دين الإسلام الذي كان فيه موافقا لما جاء به محمد** ﷺ، فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصر ما نصره من الإسلام، والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول، فحمدهم، والثناء عليهم بما لهم =من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله، وإظهار العلم الصحيح الموافق لما جاء به الرسول ﷺ والمظهر[٢] لباطل من

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٠١).

(٢) معطوف على الموافق.

خالف الرسول وما من أحد من هؤلاء ومن هوأفضل منهم إلا وله غلط في مواضع[١].

وقال أيضا: وكذلك متكلمة أهل الإثبات مثل الكلابية، والكرامية، والأشعرية، إنما قُبِلُوا واتُّبِعُوا واستُحْمِدُوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان، من إثبات الصانع وصفاته، وإثبات النبوة، والرد على الكفار من المشركين، وأهل الكتاب، وبيان تناقض حججهم، وكذلك استُحْمِدوا بما ردوه على الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، والقدرية من أنواع المقالات التي يخالفون فيها أهل السنة والجماعة. فحسناتهم نوعان:

إما موافقة أهل السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم.

ولم يتبع أحد مذهب الأشعري ونحوه إلا لأحد هذين الوصفين، أوكليهما.

وكل من أحبه وانتصر له من المسلمين وعلمائهم فإنما يحبه وينتصر له بذلك.

فالمصنف في مناقبه الدافع للطعن واللعن عنه - كالبيهقي؛ والقشيري أبي القاسم؛ وابن عساكر الدمشقي - إنما يحتجون لذلك بما يقوله من أقوال أهل السنة والحديث، أوبما ردَّه من أقوال مخالفيهم، لا

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٧٥).

يحتجون له عند الأمة وعلمائها وأمرائها إلا بهذين الوصفين.

ولولا أنه كان من أقرب بني جنسه إلى ذلك لألحقوه بطبقته الذين لم يكونوا كذلك، كشيخه الأول «أبي علي» وولده «أبي هاشم». لكن كان له من موافقة مذهب السنة والحديث في الصفات، والقدر والإمامة، والفضائل، والشفاعة، والحوض، والصراط، والميزان، وله من الردود على المعتزلة، والقدرية، والرافضة، والجهمية، وبيان تناقضهم =ما أوجب أن يمتاز بذلك عن أولئك، ويُعْرَفَ له حقه وقدره ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطَّلَاق: ٣] وبما وافق فيه السنة والحديث صار له من القبول والأتباع ما صار، لكن الموافقة التي فيها قهر المخالف، وإظهار فساد قوله =هي من جنس المجاهد المنتصر.

فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان «يحيى بن يحيى» يقول: «الذبُّ عن السنَّة أفضل من الجهاد " والمجاهد قد يكون عدلا في سياسته، وقد لا يكون، وقد يكون فيه فجور، كما قال النبي ﷺ: «**إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم**»ولهذا مضت السنَّة بأن يغزى مع كل أمير برا كان أوفاجرا، والجهاد عمل مشكور لصاحبه في الظاهر لا محالة، وهومع النية الحسنة مشكور باطنا وظاهرا، ووجه شكره: نصره للسنة والدين، فهكذا المنتصر للإسلام والسنة يشكر على ذلك من هذا الوجه[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٢- ١٤).

وقال أيضا: ومما ينبغي أيضا أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام =على درجات، منهم: من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم: من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة، ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه؛ فيكون محمودا فيما رده من الباطل، وقاله من الحق؛ لكن يكون قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق، وقال بعض الباطل، فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها، ورد باطلا بباطل أخف منه، وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة.

ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولا يفارقون به جماعة المسلمين، يوالون عليه ويعادون.. كان من نوع الخطأ. والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك. ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها: لهم مقالات قالوها باجتهاد، وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة؛ بخلاف من والى موافقه، وعادى مخالفه، وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات[١].

وقال أيضا عن أبي حامد الغزالي رحمه الله: وكان من أعظم الناس ذكاء،

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٨).

وطلبًا للعلم، وبحثًا عن الأمور، ولما قاله كان من أعظم الناس قصدًا للحق، وله من الكلام الحسن المقبول أشياء عظيمة بليغة، ومن حسن التقسيم والترتيب ما هو به من أحسن المصنفين، لكن لكونه لم يصل إلى ما جاء به الرسول ﷺ من الطرق الصحيحة كان ينقل ذلك بحسب ما بلغه[١].

وقال أيضا عن عموم المتكلمين: يُعظَّمون من وجه، ويذمّون من وجه؛ فإنّ لهم حسنات، وفضائل، وسعياً مشكوراً، وخطؤهم بعد الاجتهاد مغفورٌ[٢].

وقال أيضا: والأشعرية ما ردوه من بدع المعتزلة، والرافضة، والجهمية، وغيرهم، وبينوا ما بينوه من تناقضهم، وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة، فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار، وردهم =ما انتفع به خلق كثير؛ فإن الأشعري كان من المعتزلة، وبقي على مذهبهم أربعين سنة يقرأ على أبي علي الجبائي، فلما انتقل عن مذهبهم كان خبيرا بأصولهم، وبالرد عليهم وبيان تناقضهم[٣].

وقال أيضا: وأنا - والله - من أعظم الناس معاونة على إطفاء كل شر فيها وفي غيرها، وإقامة لكل خير. وابن مخلوف -ولو عمل مهما عمل-

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ١٢٧).

(٢) كتاب النبوات (٢/ ٦٣٢)

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٩٩)

والله ما أقدر على خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي وعزمي، مع علمي بجميع الأمور، فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عوناً للشيطان على إخواني المسلمين[١].

قال الإمام ابن القيم: وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكَّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: أنا لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه. ونحوهذا من الكلام. فسُرُوا به ودعوا له. وعظموا هذه الحال منه. فرحمه الله ورضي عنه[٢].

وقال ابن القيم أيضا: وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يدعوعلى أحد منهم قط، وكان يدعولهم[٣].

۞ إيقاظ:

إنَّ مما شاع وذاع، وعرفه الغادي والرائح، والقاصي والداني، والعدو والصديق، أنَّ شيخ الإسلام أبلى بلاء حسنًا في بيان دين الله الذي أنزله الله على قلب رسوله محمد ﷺ، وأبدأ وأعاد، وأوجز

---

(١) محنة شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٩٥). قال بعض أهل العلم: إن الميت هوابن مخلوف نفسه.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٢٨).

وأطال، وأصَّل وفصَّل، وشدَّ وحَلَّ، وأفنى عمرًا مديدًا، وجهدًا حميدًا في بيان توحيد الله سبحانه وتعالى، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، وطاعة الله سبحانه وتعالى، وطاعة رسوله ﷺ، وما يُشاقُّ ذلك من الشركيات والكفريات، والبدع والمعاصي حتَّى تمَّ له ما أراد بإذن الله من تجديد هذا الدين وتطهير منابعه، فكان بحق الكهف السبوغ الذي يأوي إليه كل من فر بدينه من الأضاليل والأباطيل، والترسانة الصلبة التي تتحطم عليها سهام الشبهات والأوهام.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى استفاضت مقالاته صريحة، وليست كرموز ابن سبعين، ولا ألغاز ابن عربي، وتبلورت مواقفه واضحة تجاه النزاعات القائمة في زمنه القائمة اليوم أيضًا بين الطوائف والجماعات الإسلامية المتباينة في مواقفها من السنَّة النبوية المحضة.

وليست مقالاته ومواقفه هذه نكوصًا عن مناهجه ومذاهبه، ولا تراجعًا عن عقائده وقناعاته العلمية، بل هذه المقالات والمواقف تهدف إلى هدفين جليلين حسب فهمي:

الأول: إظهار العدل والإنصاف، وردُّ البغي والغلو في المواقف المتشنّجة من الطوائف؛ فإنَّ الله جعل لكل شيء قدرا.

والثاني: تقليل الشرِّ، وتخفيف سَورة النزاع بين الطوائف، حتَّى لا تزحف إلى نزاع الفِعال بعد استفراغ نزاع المقال في هذه الأزمنة المزمنة.

وليس في صراع هذه الطوائف وتواجهها أدنى مصلحة للإسلام والمسلمين في ظلِّ غياب دولة الإسلام العادلة التي تتمثَّل السنة النبوية

منهج حياة، وتدعو إليها، وتضع الأمور في نصابها، وتوقف كلَّ أحد ممن يناوئ السنة ويعانق البدعة عند حدِّه.

وإذا كان هاهنا من يزعم أنه أغزر علمًا من ابن تيمية، وأدقُّ فهمًا منه، وأكثر غيرة على صفاء هذا الدين منه.. فليبرز بنفسه، وليبح بذلك إن شاء دون غمغمة في الخفاء.

ولا يفهمنَّ أحد من حشد هذه الأقوال لشيخ الإسلام أنِّي أدعو إلى مذاهب الأشاعرة أو أُلَمِّعُها عن طريق سرد هذه المقالات للشيخ، فأضع المسؤولية على كاهل الشيخ، وأتملَّصُ من المؤاخذة، وأرمي الحجر بعصفورين، لا، لم أقصد ذلك، بل لم يخطر لي ذلك ببال منذ أن تسنَّنت بتوفيق الله ورحمته، ولكن لكل مقام مقال، فمقال هذا المقام أملته الضرورة لإبراز حقائق غائبة عن ساحات دعوية، ولدفع سورة غلو الغلاة، وللتفاعل مع ناشدي الإنصاف والعدل ليس إلا.

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى مستغيثًا برحمته مبتهلًا إليه أن يحييني على الإسلام والسنة، وأن يتوفّاني عليهما، ويبعثني عليهما، وأُشهد الله جلَّ في عُلاه أنَّني تصدقت بعرضي على المسلمين وسامحتهم فيما يقولون عنِّي إلا التبديع فإني أسأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب أن يُعَرِّض كلَّ من رماني ببدعة للفتنة في دينه ودنياه، وأن يَشغله بما لا يُجدي عنه فتيلا في دينه ودنياه، وكفى بالله ناصرًا للمُفتَرى عليه منصفًا للمظلوم في دينه من ظالمه.

وإني أدعوكل قارئ لهذه الرسالة إلى الاقتداء بمذاهب أهل الحديث

والسنة في الصغير والكبير، والاعتقادات وسائر الأعمال، والعضِّ عليها بالنواجذ، وهي ظاهرة اليوم لكل من أُعين بالتوفيق، وبشيء من الاستبصار، والتجرُّد عن الهوى.

فإن قال قائل: إنَّ الأشاعرة اليوم ليسوا في ورد ولا صَدْر عن هذا التقارب والتآلف الذي كان يسعى فيه شيخ الإسلام مع أشاعرة زمانه، ولا يخفُّون إليه ولا يلتفتون، فإن الأشاعرة اليوم يُخَيَّل إليهم أن أراضيهم قد اخضرَّت، وأنَّ رياح الانتصار هبَّت بالنسائم على صالح التمشعر.

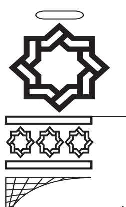
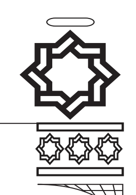
قيل: إنَّ التآلف والتقارب واجب يُضيِّعونه، وإنَّ التباعد والتباغض ونبز أهل السنة بأسماء منفِّرة، وألقاب موحشة لن يحقِّق لهم مصلحة في دينهم وآخرتهم، وسيردون فيعلمون، وإن الاخضرار سيعقبه الذُّبول، وإنَّ الرياح ستجري بما لا تشتهيها السفن، سنة الله التي لا تتبدَّل ولا تتحول في خلقه.

فائدة: فرَّق الحافظ ابن حجر بين أهل السنة وبين الأشاعرة، فقال في ترجمة محمد بن إسحاق بن محمد النَّديم، مصنف كتاب الفهرست: ولمَّا طالعت كتابه ظهر لي أنه رافضي معتزلي؛ فإنَّه يسمِّي أهل السنة: الحَشْوِية، ويسمي الأشاعرة: المُجْبِرة، ويسمي كل من لم يكن شيعيًا: عاميًّا[١]. .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) لسان الميزان (٦/ ٥٥٩).



المحور العاشر
فتاوى أهل العلم في الجماعات الإسلامية المعاصرة

فتاوى الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني

قال العلامة المحدث ناصر الدين الألباني: المنتمي إلى السلف الصالح على نسبة قربه وبعده في تحقيق انتسابه إلى السلف الصالح يقال فيه: إنَّه مع السلف الصالح، ولذلك**فلا يصحُّ أن يطلق القول بإخراج من كان يعلن ولوبلسانه على الأقلِّ**. لا يصحُّ أن نقول: إنَّه ليس سلفيًا ما دام يدعوإلى منهج السلف الصالح، ما دام يدعوإلى اتباع الكتاب والسنَّة، وعدم التعصب لإمام من الأئمة[١]. اهـ.

وسئل العلَّامة المحدِّث ناصر الدين الألباني ﵀: عن جماعة الإخوان، وجماعة التبليغ، هل هم من الفرق التي أخبر عنها النبي ﷺ؟

فقال: لا، لا، الإخوان المسلمون فيهم من جميع الطوائف، فيهم سلفيون[٢]، فيهم خلفيون، فيهم شيعة، فيهم كذا وكذا، فلا يصحُّ أن

---

(١) سلسلة الهدى والنور شريط (٨٤٨) الوجه الأول.

(٢) انظر وتأمَّل! هل أصيب هؤلاء في سلفيتهم عند الشيخ بكونهم من حزب الإخوان المسلمين! ثم اقرأ كلام بعض المصابين بداء التعالم على الآخرين حين يجعجعون بذم الحزبية، ويجرحون من لا ينظر بنظارتهم، وكأنهم بمنجاة من الحزبية المزعومة في الواقع، فهم في واد، والشيخ في واد آخر في هذا التقويم =

يطلق عليهم صفة واحدة. وإنَّما نقول: من تبنَّى منهجًا خلاف الكتاب والسنة من أفرادهم =فهوليس من الفرقة الناجية، بل هومن الفرقة الهالكة. أمَّا جماعة... والله أنا أقول: السلفيين... أنا ما أقول عنهم: إنهم من الفرقة الناجية... السلفيين... أيشٍ رأيكم؟[(١)].

وسئل الشيخ الألباني ﵀ عمن قال: إنَّ الإخوان المسلمين أشدُّ خطرًا على الإسلام من اليهود والنصارى فقال السائل:

قول القائل: إن الجماعات الإسلامية المعاصرة غير الجماعة السلفية أشدُّ خطرًا على الإسلام من اليهود والنصارى، كجماعة الإخوان المسلمين.

فقال الشيخ: لا، ما أعتقد إلا أن هذا نوع جديد من الغلو، ونوع جديد من التحزب والتباغض والتدابر، في كلِّ الجماعات الإسلامية فيها خير، فيها

= وإن رفعوا عقيرتهم بأنَّهم على منهج الشيخ سالكون دربه، فهذا زمن التجاهل إلّا ما رحم ربي.

(١) سلسلة الهدى والنور (٦٦٦) رأى الشيخ - كما رأى غيره - بعض العصابات المتعلقين بهذا الاسم «السلفية» المتزيِّنين به الذين في دينهم دخن، فإذا جاءوا يوم القيامة متعلقين بهذا الاسم مع ذلك الدين الذي فيه الدخن، فإنَّ هذا الاسم لن يُغني عنهم من الله شيئا.
وعلى العكس من ذلك لوجاءت عصابة أخرى يوم القيامة بدين صحيح، ولم تُسَمِّ نفسها يومًا باسم «السلفية» فإنهم ينجون بإذن الله، فإذن الهلاك والنجاة مرتبطان بالمعاني، لا بالأسماء والألقاب التي قد يُتعارف بها. وهذا ظاهر، ولكن إذا استحكم العناد في المرء والمكابرة نازع في كل شيء حتى في المحسوسات.

شرٌّ، الحكم على الجماعات -يا إخواننا- كالحكم على الأفراد، فلا يوجد هناك فرد مسلم جمع خصال الكمال كلَّها، وإنما بعضٌ دون بعضٍ، صلاحُه أكثر من طلاحه، أوطلاحه أكثر من صلاحه، فحتى في هذه الصورة الأخرى - طلاحه أكثر من صلاحه - ما ينبغي أن ننكر الصلاح الذي يصدر منه.

الإخوان المسلمون، وحزب التحرير، وجماعة التبليغ فيهم خير، لكن فيهم أيضًا بُعْدٌ عن الإسلام: إما جهلًا، وإما تجاهلًا، ولذلك هذه القولة فيها خطورة متناهية جدًّا، لا يجوز أن نطلق هذا الكلام، بل لا يجوز أن نضلِّلهم.

نحن قلنا في بعض جلساتنا: أنا لا أرى أن نقول: كلُّ شيعي فهوكافر، لكن أيُّ شيعي يقول: إن قرآننا هذا هو ربع المصحف الذي ضاع، وهومصحف فاطمة، ونحوذلك من الكلمات المكفِّرة، وهويعتقدها ويدين الله بها، فهذا الذي نقول: إنه كافر، أما أن نقول: الشيعة كلهم كفار، لا، هذا عبارة عن غلو في الدين.

فأولى ثم أولى أن يطلق هذا الكلام بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين، أوغير الجماعات التي تجمعها كلهم دائرة الإسلام، لكن بعضهم أقرب من بعض إلى الإسلام، وبعضهم أبعد عن الإسلام من بعض.

إذن في كلِّ الجماعات فيهم خير، وفيهم دخن، كما جاء في الحديث الصحيح[١].

---

(١) سلسلة الهدى والنور (٧٥٢).

وقال أيضًا: هاذون[١] الإخوان الذي انقسم عنهم جماعة، أو هم انقسموا عن جماعة، والله أعلم، هؤلاء معنا على طول الخطّ في الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، لكن جاءوا بشيء جديد فعلًا، بعضه خطأ، وبعضه صواب، فلماذا ننشر بين بعضنا البعض الآن الفرقة، والتحزب والتعصب؟ وبينما كنا كتلة صرنا كتلتين، صرنا كتلتين، صاروا ثلاثة، صاروا سفريين، صاروا سروريين... إلخ.

الله أكبر! وما فرَّق بينهم شيء يستحق التفريق، ما فيه خلاف في الأمور العظائم التي لا يمكن أن يتصور أنَّ السلفيين يختلفون فيها. نحن نعلم جميعًا أنَّ الصحابة اختلفوا في بعض المسائل، لكن المنهج كان واحدًا[٢].

وقال أيضًا في مجال بسط العذر، وثبوت الأجر لمن أخطأ في اجتهاده من أهل السنة: إن كان ابتغى وجه الحق والصواب فأخطأه فلا يجوز أن يقال: إنه ليس من أهل السنة والجماعة بمجرد أنه وقع في خطأ، أو لنقل كما جاء في سؤالك وقع في بدعة.

كثير كما يعلم طلاب العلم فضلا عن أهل العلم كثير من العلماء يقعون في الحرام، ولكن هل يقصدون الحرام حاشاهم، فهل يأثمون بذلك؟ الجواب لا.

---

(١) لهجة سورية، بمعنى هؤلاء.

(٢) سلسلة الهدى والنور (٦٦٦).

لا فرق إذًا بين عالم يقع في استحلال ما حرم الله باجتهاد هومأجور عليه أوبين عالم آخر وقع في بدعة دون أن يقصدها وإنما قصد السنة فأخطأها لا فرق بين هذا وهذا، ولذلك فنحن نشكوالآن من هذه الثورة التي ثارت في السعودية الآن بين أهل السنة أنفسهم حيث إنه ظهر فيهم من يظن بأنه خالف أهل السنة في بعض المسائل فبدّعوه وخرّجوه عن أهل السنة، حسبهم أن يقولوا بأنه أخطأ أولا، ثم عليهم أن يقيموا الحجة من الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح ثانيا، أما أن يزيدوا في الفرقة فرقة وخلافا فهذا ليس من عادة أهل السنة والجماعة أبدا، لذلك فلا يجوز أن ينبذ من قد يخطئ في مسألة على التفصيل السابق سواء كانت أصلية أوفرعية، كانت عقدية أوفقهية، لا يجوز أن يضلل وإنما يعامل بالذي هوأحسن[(١)].

وقال أيضًا في اعتبار الغالب على العالم، وعدم الاعتبار للزلّات في العقيدة، أو في الفقه: فلا غرابة في أن يخطئ من كان إماماً في دعوة الحق، فإذا أخطأ في مسألة أوأخرى في مسألتين أوثلاثة أوأكثر فذلك لا يخرجه عن دعوة الحق إذا تبناها. فالحافظ ابن حجر كالإمام النووي وغيره ممن أخطؤوا في بعض المسائل العقدية كما يقولون اليوم فذلك لا يخرجهم عن كونهم من أهل السنة والجماعة؛ لأن العبرة بما يغلب على الإنسان من فكر صحيح أوعمل صالح، متى يكون المسلم صالحا؟ هل يشترط في أن يكون صالحاً أن لا يقع منه أي ذنب

(١) سلسلة الهدى والنور (أ/ ٧٣٤).

أومعصية؟ الجواب لا، بل من طبيعة الإنسان أن يقع منه الذنب المعصية مراراً وتكراراً، فمتى يكون العبد صالحاً إذا غلب خيره شره وصلاحه ضلاله وهكذا، كذلك تماماً يقال في المسائل العلمية سواء كانت هذه المسائل العلمية مسائل عقدية أوفقهية، فإذا كان هذا العالم يغلب عليه العلم الصحيح فهوالناجي. أما أنَّ له زلة أوزلات في الفقه أوفي العقيدة فهذا لا يخرجه عما غلب عليه من العقيدة الصحيحة. فابن حجر ما ذكرتَ مما له تلك الزلات فلا يعني ذلك أنه لا ينبغي أن نستفيد من كتابه، وأن لا نترحم عليه، وأن لا نحشره في زمرة علماء المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة(١).

وقال أيضًا في بيان فتن هذا العصر وعدم الإلزام بالآراء الشخصية وتسلسل التبديع: ليس شرطًا أبدًا أن من كفر شخصًا وأقام عليه الحجة أن يكون كل الناس معه في التكفير؛ لأنه قد يكون هومتأولا، ويرى العالم الآخر أنه لا يجوز تكفيره، كذلك التفسيق، والتبديع، فهذه الحقيقة من فتن العصر الحاضر، ومن تسرع بعض الشباب في ادعاء العلم، فالمقصود أن هذا التسلسل، أوهذا الالزام غير لازم أبدًا، هذا باب واسع قد يرى عالم أمرًا واجبًا، ويراه الآخر ليس كذلك، وما اختلف العلماء من قبل ومن بعد إلا لأن باب الاجتهاد لا يُلزم الآخرين بأن يأخذوا برأيي، الذي يوجب الأخذ برأي الآخر إنما هوالمقلد الذي لا علم عنده، وهومن يجب عليه أن يقلد، أما من كان

(١) سلسلة الهدى والنور (أ/ ٧٢٧).

عالمًا كالذي كفّر، أوفسّق، أوبدّع، ولا يرى مثل رأيه، فلا يلزمه أبدًا أن يتابع ذلك العالم[١].

وقال أيضًا: نحن انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المَائدة: ٨] فنحن لا نبخس داعية حقه، ونعتقد فيه دون إفراط ودون تفريط، فحسن البنا أعتقد أن له يدا حسنة على كثير من الشباب المسلمين الذين كانوا ضائعين وراء اتباع الملاهي والعادات الغربية كالملاهي والسينمايات، فجمعهم حول تكتل هوتكتل حزبي لا نرضاه، ولكن قد كان دعاهم إلى اتباع الكتاب والسنة والتمسك بالإسلام الذي كان هوعلى علم به، فنفع الله به ما شاء من النفع، وانتشرت دعوته في أقطار العالم الإسلامي، هذا ما ندين الله به بالنسبة لدعوته، ولكننا لا نغالي فيه كما يغالي المتحزبون له، فإنه لم يكن مع الأسف على علم بالكتاب وبالسنة ولم يكن داعية إلى الكتاب وإلى السنة على منهج السلف الصالح[٢].

۞ فتاوى الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز

س: يتساءل كثير من شباب الإسلام عن حكم الانتماء للجماعات الإسلامية والالتزام بمنهج جماعة معينة دون سواها؟

ج: الواجب على كل إنسان أن يلتزم بالحق، قال الله عَزَّوَجَلَّ، وقال

(١) سلسلة الهدى والنور (أ/ ٧٧٨).

(٢) سلسلة الهدى والنور (٨٠٥).

رسوله ﷺ، وألا يلتزم بمنهج أي جماعة، لا إخوان مسلمين، ولا أنصار سنة، ولا غيرهم، ولكن يلتزم بالحق، **وإذا انتسب إلى أنصار السنة وساعدهم في الحق، أوإلى الإخوان المسلمين ووافقهم على الحق من دون غلوولا تفريط .. فلا بأس،** أما أن يلزم قولهم ولا يحيد عنه .. فهذا لا يجوز، وعليه أن يدور مع الحق حيث دار؛ إن كان الحق مع الإخوان المسلمين أخذ به، وإن كان مع أنصار السنة أخذ به، وإن كان مع غيرهم أخذ به، يدور مع الحق، **يعين الجماعات الأخرى في الحق، ولكن لا يلتزم بمذهب معين لا يحيد عنه ولوكان باطلا ولوكان غلطا،** فهذا منكر، وهذا لا يجوز، ولكن مع الجماعة في كل حق، وليس معهم فيما أخطأوا فيه[(١)].

س: هل يجوز التعاون مع الجماعات الإسلامية العاملة في الساحة؟ وإلى أي مدى يمكن التعاون، نرجوالإفادة جزاكم الله خيرا؟

ج: **يشرع التعاون مع جميع المسلمين على البر والتقوى، بل يجب ذلك مع الاستطاعة؛** لقول الله ﷻ: ، وقوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المَائدة: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العَصر: ١-٣].

ومن التعاون على البر والتقوى، ومن التواصي بالحق والصبر عليه

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ٢٣٧).

توضيح الأحكام الشرعية والتحذير من البدع، وإيضاح العقيدة الصحيحة التي درج عليها سلف الأمة من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان[١].

۞ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء

السؤال الأول من الفتوى رقم: **(٧١٢٢) (٢/ ٢٣٩-٢٤٠)**:

س١: في هذا الزمان عديد من الجماعات والتفريعات، وكل منها يدعي الانضواء تحت الفرقة الناجية، ولا ندري أيها على حق فنتبعه، ونرجومن سيادتكم أن تدلونا على أفضل هذه الجماعات وأخيرها؛ فنتبع الحق فيها مع إبراز الأدلة؟

ج١: **كل من هذه الجماعات تدخل في الفرقة الناجية إلا من أتى منهم بمكفر يخرج عن أصل الإيمان،** لكنهم تتفاوت درجاتهم قوة وضعفا بقدر إصابتهم للحق وعملهم به، وخطئهم في فهم الأدلة والعمل، فأهداهم أسعدهم بالدليل فهما وعملا، فاعرف وجهات نظرهم، وكن مع أتبعهم للحق وألزمهم له، **ولا تبخس الآخرين إخوتهم في الإسلام فترد عليهم ما أصابوا فيه من الحق،** بل اتبع الحق حيثما كان ولوظهر على لسان من يخالفك في بعض المسائل، فالحق رائد المؤمن، وقوة الدليل من الكتاب والسنة هي الفيصل بين الحق والباطل[٢].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٢٥٠).

(٢) الموقعون على هذه الفتوى: الرئيس: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الأعضاء: عبد الله بن قعود، عبد الله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي.

السؤال الرابع من الفتوى رقم: (٦٢٨٠) (٢/ ٢٣٩-٢٤٠):

الجماعات: الفرق الموجودة الآن أقصد بها جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ، وجماعة أنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية، والسلفيين، ومن يسمونهم التكفير والهجرة، وهذه كلها وغيرها قائمة بمصر، أسأل ما موقف المسلم منها، وهل ينطبق عليها حديث حذيفة ﵁ (فاعتزل تلك الفرق كلها ولوأن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) رواه الإمام مسلم في صحيحه؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه. وبعد.

كل هذه الفرق فيها حق وباطل، وخطأ وصواب، وبعضها أقرب إلى الحق والصواب وأكثر خيراً وأعم نفعاً من بعض، فعليك أن تتعاون مع كل منها على ما معها من الحق، وتنصح لها فيما تراه خطأً، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك[(١)].

۞ فتاوى الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

الشيخ: إذا كثرت الأحزاب في الأمة فلا تنتم إلى حزب، فقد ظهرت طوائف من قديم الزمان مثل الخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة، ثم ظهرت أخيراً إخوانيون وسلفيون وتبليغيون وما أشبه ذلك، فكل هذه

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٣٩-٢٤٠). والموقعون على هذه الفتوى: الرئيس: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الأعضاء: عبد الله بن قعود، عبدالله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي.

الفرق اجعلها على اليسار وعليك بالأمام وهو ما أرشد إليه النبي ﷺ في قوله: «عَلَيكُم بِسُنَّتي وَسُنَّة الخُلَفَاء الرَاشِدين».

ولا شك أن الواجب على جميع المسلمين أن يكون مذهبهم مذهب السلف لا الانتماء إلى حزب معين يسمى السلفيين، والواجب أن تكون الأمة الاسلامية مذهبها مذهب السلف الصالح لا التحزب إلى من يسمى (السلفيون)، فهناك طريق السلف وهناك حزب يسمى (السلفيون) والمطلوب اتباع السلف.

إلا أن الإخوة السلفيين هم أقرب الفرق إلى الصواب ولكن مشكلتهم كغيرهم أن بعض هذه الفرق يضلل بعضاً ويبدعه ويفسقه، ونحن لا ننكر هذا إذا كانوا مستحقين، لكننا ننكر معالجة هذه البدع بهذه الطريقة، والواجب أن يجتمع رؤساء هذه الفرق، ويقولون: بيننا كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله فلنتحاكم إليهما لا إلى الأهواء والآراء، ولا إلى فلان أو فلان، فكلٌّ يخطئ ويصيب مهما بلغ من العلم والعبادة ولكن العصمة في دين الإسلام.

فهذا الحديث أرشد فيه النبي ﷺ إلى سلوك طريق مستقيم يسلم فيه الإنسان، ولا ينتمي إلى أي فرقة إلا إلى طريق السلف الصالح سنة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين[١].

السؤال: نسب إليكم أحد الأشخاص أنكم تؤيدون جماعة التبليغ، ما قولكم في هذا؟

---

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: **٢٨٢**، ح: **٢٨**).

الجواب: كيف نؤيدهم ماذا نقول؟

السائل: يقول: بأنك تقول: جائز الذهاب معهم.

الشيخ: نعم.

أنا أقول: جائز، وقد يتعين على طالب العلم الذي إذا خرج معهم أرشدهم إلى الحق، الجماعة ليسوا يفعلون المنكرات الظاهرة، لكن صحيح أنه ثبت عنهم قصور، ويحتاجون إلى من يعلمهم ويرشدهم، وإلا فمن عرف حالهم وعرف إيثارهم وأخلاقهم وآثارهم يقول: هذه جماعة لا يوجد لها نظير.

فهم أسلم على أيديهم كثير من الناس، وصلح على أيديهم كثير من الفساق، وهذا أمر لا ينكر، وفيهم من الإيثار واللطافة وحسن الخلق ما لا يوجد في غيرهم، لكن عندهم جهل لا شك، فإذا خرج الإنسان معهم ليرشدهم ويقول: يا إخواني! هذه مثلاً بدعة، هذه لم تأت بها السنة، فهذا خير، أنا أحب أن طلاب العلم يأتون بهم ويرشدونهم، أو يخرجون معهم ويرشدونهم.

أما أن نبقى نتلاعن فيما بيننا، ونبدع أو نكفر أو ما أشبه ذلك، فهذا غلط، ولا مجال لذكر الوقائع التي وقعت من تأثير هؤلاء في فساق وكفار وملحدين.

لكن لو قال شاب: هل الأفضل أن أخرج معهم، أو أطلب العلم؟ قلنا: الأفضل تطلب العلم لا شك؛ لأنهم هم ليس عندهم زيادة علم،

أكثر ما عندهم النظر في الأخلاق والفضائل وما أشبه ذلك، وهم كثير منهم لا يميز بين الصحيح والضعيف(١).

السؤال: انتشر عندنا في الكويت جماعة التبليغ يعظون الرجال الآن والنساء فضلاً عن الرجال بالخروج إلى جميع البلدان، يحددون مدة قصيرة يدربون المرأة مدة ثلاثة أيام ثم أسبوع ثم في الخليج كذلك يعني أسبوعين، بعد ذلك ينقلونها إلى مرحلة أعلى وهي مرحلة الهند والباكستان، حتى تتدرب المرأة بحجتهم على الدعوة إلى الله تعالى أربعين يوماً، والسؤال: نقل عنك أيضاً أن أحد الإخوة يأتي هنا إلى القصيم ويقول: إنك ترى جواز الخروج مع النساء فهل هذا صحيح؟ ونريد كلمة هل هم جماعة حق ويخرج معهم ويجتهد الإنسان معهم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ويبذل الإنسان ماله ووقته؟

الجواب: أما ما نسبه إليَّ من أني أقول: حتى النساء يخرجن فهذا غير صحيح، ولا علمت أن النساء يخرجن في جماعة التبليغ إلا منك الآن، وأما الجماعة فلا أحد يشك أن لها تأثيرًا في إصلاح الناس، كم من كافر أسلم! وكم من فاسق اهتدى! وهذا شيء معلوم، لكن يغلب عليها الجهل، ليس عندهم طلبة علم ولا علماء.

كما أن الذهاب إلى بلاد أخرى من بلاد العجم الباكستان أو غيرها لا نرى السفر إلى هناك، ولا نرى حجاً إلا إلى بيت الله الحرام، وهذا

---

(١) لقاء الباب المفتوح (رقم: ٢٢٤).

الاجتماع السنوي الذي يجتمع فيه ما يزيد على المليون هذا شبه الحج وهذا لا نراه، ونرى أن جماعة التبليغ يكونون في أماكنهم يدعون إلى الله عَزَّوَجَلَّ في القرى والمدن، ونرى أيضاً أنه يلزم على طلبة العلم أن يخرجوا معهم لتعديل منهجهم، وإصلاح ما هم عليه من الأخطاء التي قد تكون من كل أحد من الناس.

فأنا لست من الذين يذمونهم ذماً مطلقاً، ولا من الذين يمدحونهم مدحاً مطلقاً، لكني أرى أن في القوم خيراً، وأن الله نفع بهم نفعاً كبيراً، ولا أعلم إلى ساعتي هذه أن أحداً من الناس أثَّر ولا سيما في العامة مثل ما أثَّر هؤلاء[(١)].

الشيخ: جماعة التبليغ جماعة نشطة، وجماعة فيها خير، وجماعة لها تأثير لا يوجد لأي جماعة أخرى، وجماعة تكف شرها عن الناس لا تتكلم في الناس لا في الحكام ولا في العلماء ولا في الأمراء، وهذا شيء مشهور، بل إنهم يحاولون ترك الجدال عندهم حتى في مسائل العلم، كل هذا للابتعاد عن التنافر، وتأثيرهم واضح، كم من إنسان فاسق صار بواسطتهم عدلاً مستقيماً! وكم من إنسان كافر دخل في الإسلام من أجلهم، وحسن أخلاقهم.

لكن ينقصهم العلم، يحتاجون إلى طلبة علم يكونون معهم ويبينون لهم الحق؛ حتى يكونوا على بصيرة من الأمر، ويخشى من السفر إلى الخارج إلى باكستان أو بنجلادش أو غيرها مما يخاف عليهم من البدع هناك، على

(١) لقاء الباب المفتوح (رقم: ٧٢).

أن بعض الإخوة من أهل القصيم ذهبوا في هذه السنة لاجتماع كان في باكستان أو بنجلادش لا أدري، لكنهم ذكروا أن كبيرهم الذي ألقى الخطبة في هذا الجمع الغفير كان من أول ما بدأ من صلاة المغرب إلى أربع ساعات بعد الغروب وهو يقرر التوحيد، يقولون: ولم نسمع عنه ما يدل على مخالفة التوحيد أبداً، ومع ذلك لما حصل بيننا وبينهم لقاء أثنى على أهل العلم في هذه البلاد وقال: نحن نتمنى أن يأتينا أحدٌ منكم يبين لنا الخطأ حتى نرجع عنه.

فعلى كل حال يحتاجون إلى طلبة علم يكونون معهم، فطالب العلم إذا كان معهم سيستفيد من جهتين:

الجهة الأولى: أنه يعلمهم ويرشدهم ويوجه هذه الفئة التي تدعوا الناس بأخلاقها، وآدابها، وإيثارها، يعلمهم ما يجب عليهم من أمور الشرع.

والجهة الثاني: أنه هو بنفسه إذا كان شامخ الرأس لكونه طالب علم؛ فإنه يلين ويعرف التواضع والقيام بالإيثار.

فذمهم مطلقاً غلط، ومدحهم مطلقاً غلط، لكن فيما أعلم حسناتهم أكثر من سيئاتهم، والنقص الذي عندهم هو مسألة العلم، عندهم جهل.

نسأل تعالى أن يجمعنا جميعاً على العلم النافع والعمل الصالح إنه على كل شيء قدير[١].

---

(١) لقاء الباب المفتوح (رقم: ٩٧).

السؤال: فضيلة الشيخ! أحب أن أطلع على حقيقة جماعة التبليغ، وهل ينصح فضيلتك بالخروج معهم في البلدان الأخرى أم لا؟

الجواب: الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ مأمور بها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النّحل: ١٢٥]، والسير في الدعوة إلى الله في الأرض أمر مطلوب أيضاً، لكنني لا أنصح إخواننا في بلادنا أن يذهبوا خارج البلاد إلى باكستان أو بنجلاديش أو ما أشبه ذلك؛ لأنه بلغني أن هناك رؤساء مشتبه في عقيدتهم، والإنسان يجب عليه أن يبتعد عما فيه الاشتباه، أما في داخل المملكة فلا أرى عليهم إلا خيراً.

صحيح أن عندهم جهلاً، وأنهم يحتاجون إلى طلبة علم يخرجون معهم يوجهونهم ويبينون لهم أن الإسلام أوسع مما حصروه في الستة الأوصاف التي عندهم، ويرشدونهم إلى السنة في كثير من الأمور، لكنني لست أشدد في التحذير منهم، بل ولا أحذر منهم؛ لأن لهم تأثيراً بالغاً في هداية الخلق، فكم من إنسان فاسق صار مستقيماً على أيديهم! وكم من إنسان كافر صار مسلماً على أيديهم، وهم في الدعوة إلى الله ألين من غيرهم؛ عندهم لين، وعندهم إيثار، وعندهم خلق، ولكن عندهم شيء من البدع يمكن أن يُقضى عليها.

أما بالنسبة لنصيحة كل شخص على حدة فالإنسان الذي عنده قدرة على التعلم والتفرغ لطلب العلم ننصحه أن يبقى في طلب العلم وألا يخرج معهم؛ لأن طلب العلم أفضل من الذهاب للدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ،

وأما إذا كان الإنسان ليس بطالب علم ولا مستعداً لطلب العلم وأراد أن يخرج معهم من أجل أن يلين قلبه ويقبل على الله عَزَّوَجَلَّ فلا حرج[(١)].

إيقاظ:

ومما لا يُقضى منه العجب أنَّ بعض المنتسبين إلى الحديث والسنة المائلين إلى اللين واللطف تجاه هذه النزاعات، الراغبين عن الخصومات والاصطدامات فيما لا يُسفر عن تآلف، ولا يثمر تقاربًا في هذه الأزمنة العجاف التي اشتدَّ فيها خطب النزاع، وانفجرت فيها بؤرة العداء، وعظم فيها الافتراق بين المسلمين على مستوى الدول والشعوب والطوائف والجماعات، بل على مستوى الأفراد =إذا رأى هذا البعض التقارب والتآلف والتعاون سائغًا - على غرار ما كان يدعو إليه شيخ الإسلام مع الأشاعرة - مع بعض الجماعات التي تقول: نحن من أهل السنة والجماعة، كوَّنَّا جماعة للتعاون والتكاتف في سبيل الدعوة إلى الله مقتدين بالسلف الصالح. اتخذه غلاة التبديع، وهُواة التجريح عدوًّا لدودًا، وأجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم، ونالوا من دينه وعرضه، وكأن هذا البعض دعا إلى مقاربة الجعد بن درهم، أو إلى مؤالفة أبي حمزة الخارجي.

والغريب في الأمر أنَّ هؤلاء يشدّدون تشديدًا في تأسيس جماعة دعوية، ويُبدِّعون تأسيسها، ويحبذون تأسيس جمعية خيرية.

---

(١) لقاء الباب المفتوح (رقم: ٦٠).

وإذا لم ينظر إلى المضمون والمعنى الذي اجتمعت عليه الجماعة أوالجمعية، بل اتَّجه النظر إلى «جماعة» و«جمعية» فكأن ما سُمِّي بـ«جماعة» على وزن فعالة بدعة، وأنَّ ما سُمِّي بـ«جمعية» على وزن فَعْلِيَة مشروعة.

وأنا - والله - لا أفقه هذا التفريق إلى الآن.

فإن قال قائل: فهل كان السلف يؤسسون جماعات دعوية، ويُعْنون بهذه الأساليب القائمة اليوم في هذه الجماعات؟.

قيل: هذا السؤال وارد أيضًا لا محالة في الجمعيات الخيرية، فهل كان السلف ينشئون جمعيات خيرية، ويبنون لها المراكز، ويجمعون فيها الأموال، ويعيِّنون لها الرؤساء والمرؤوسين، ويضعون لها اللوائح، فما كان جوابًا عن الجمعيات فهو الجواب بعينه عن الجماعات سواء بسواء.

كان الشيخ محمد بن حامد الفقي رحمه الله أسّس جماعة دعوية عام **١٣٤٥** مع مشاركة مجموعة من إخوانه العلماء الدعاة، سمّاها بـ«جماعة أنصار السنة المحمدية» أنشأها بالقاهرة ثم انتشرت في غيرها من المدن المصريّة، وفي بعض الدول الإسلامية كالسودان، لتطهير الاعتقاد بنشر التوحيد ومحاربة الشركيات، ونبذ البدع كشرط لعودة الخلافة الإسلامية، ونهضة الأمة الإسلامية.

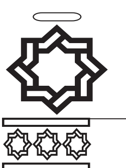
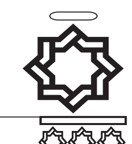
وضع الشيخ للجماعة تنظيمات وإدارات لتسيير أمورها وتنفيذ برامجها.

وكان للجماعة هيئة كبار العلماء، منهم محدّث مصر الشيخ أحمد بن محمد بن شاكر.

ولم يتكلم أحد من علماء السنة منذ تأسيسها إلى اليوم في الجماعة بتبديع ولاتضليل من حيث إنشائها، بل أثنى عليها كثير منهم.

قالت اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء برئاسة الشيخ العلّامة عبدالعزيز بن باز: «جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر ثم السودان جماعة إسلامية سنية سلفية، تدعو إلى الله على منهاج النبوة في التوحيد والتعبد والسلوك، وتعتقد الولاء والبراء على الكتاب والسنة، هذا ماهو معروف عندها ولله الحمد، فهي تمثل جماعة المسلمين الحقة في وسط هذه المجتمعات التي تعج بأنواع الفرق والنحل، وقد نفع الله بهم خلقا كثيرا من العلماء وطلبة العلم وعامة الناس..».



المحور الحادي عشر

تعاون مع كُلِّ أحد كائنا من كان ما استطعت إلى ذلك سبيلا فيما يُرضي الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، ولا تنفق عمرك القصير في تصنيف الناس وفرزهم القائم على الأوهام؛ فإنَّك لم تخلق لهذا، ولم تُنصب لمحاكمة الناس إلى آرائك وأفهامك.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

قال الإمام أبوعبدالله القرطبي: هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى. أي: ليعن بعضكم بعضًا، وتحاثُّوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به(١).

روى الإمام البخاري من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال يوم الحديبية: لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلَّا أعطيتهم إيَّاها(٢).

قال الإمام ابن القيم: إنَّ المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمرا يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى.. أجيبوا إليه وأعطوه وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمات الله تعالى، لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٦٨).

(٢) صحيح البخاري (ح ٢٧٣١).

وكل من التمس المعاونة على محبوب لله مرض له. . أجيب إلى ذلك كائنا من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظم منه. وهذا من أدق المواضع وأصعبها وأشقها على النفوس، ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق، وقال عمر ما قال، حتى عمل له أعمالا بعده، والصديق تلقاه بالرضى والتسليم، حتى كان قلبه فيه على قلب رسول الله ﷺ، وأجاب عمر عما سأل عنه من ذلك بعين جواب رسول الله ﷺ، وذلك يدل على أن الصديق أفضل الصحابة وأكملهم، وأعرفهم بالله تعالى ورسوله ﷺ، وأعلمهم بدينه وأقومهم بمحابه وأشدهم موافقة له؛ ولذلك لم يسأل عمر عما عرض له إلا رسول الله ﷺ وصديقه خاصة دون سائر أصحابه[1].

ولما ذكر الإمام ابن القيم طبقات الخلائق في الدار الآخرة وأفاض في الكلام على أقسامها ومراتبها قال: ولولا أنَّ المقصود ذكر الطبقات. . لذكرنا ما لهذه المذاهب وما عليها،

وبينا تناقض أهلها، وما وافقوا فيه الحق وما خالفوه بالعلم والعدل، لا بالجهل، والظلم؛ فإنَّ كل طائفة منها معها حق وباطل، **فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل**. ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه فيهما الاسباب. وبالله المستعان[2].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٥٧).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/ ٨٤٠).

وقال أيضا: أشار أبوالقاسم الجنيد رحمه الله أن المريد لله بصدق إذا أراد الله به خيرا.. أوقعه على طائفة الصوفية، يهذبون أخلاقه، ويدلونه على تزكية نفسه، وإزالة أخلاقها الذميمة، والاستبدال بالأخلاق الحميدة. ويعرفونه منازل الطريق ومحاراتها وقواطعها وآفاتها.

وأما القراء[١]:.. فيدقونه بالعبادة من الصوم والصلاة دقا، ولا يذيقونه شيئا من حلاوة أعمال القلوب، وتهذيب النفوس؛ إذ ليس ذلك طريقهم. ولهذا بينهم وبين أرباب التصوف نوع تنافر، كما تقدم.

والبصير[٢] الصادق يضرب في كل غنيمة بسهم، **ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها. ولا يتحيز إلى طائفة، وينأى عن الأخرى بالكلية إلا أن لا يكون معها شيء من الحق. فهذه طريقة الصادقين. ودعوى الجاهلية كامنة في النفوس.**

ولا أعني بذلك أصغَرِيهم ولكنِّي أريد به الذَّوينا[٣]

(١) كان مصطلح القراء في زمن الجنيد رحمه الله وقبله بمعنى العلماء.

(٢) بداية كلام ابن القيم.

(٣) يعني به الأذواء، وهم ملوك اليمن من قضاعة المسمون بذي يزن، وذي جدن، وذي نواس، وهم التبابعة. قال العلامة الأديب مجدد اللغة العربية في زمانه عبد القادر بن عمر البغدادي رحمه الله: وهذا البيت من قصيدة الكميت بن زيد، هجا بها أهل اليمن تعصبا لمضر. يقول: لا أعني بهجوي إياكم أراذلكم، وإنما أعني عليتكم وملوككم. خزانة الأدب (١/ ١٤٢). وغرض تمثل ابن القيم بهذا البيت واضح. ورواية البيت في المصادر اللغوية: أسفليكم.

سمع النبي ﷺ في بعض غزواته قائلا يقول: يا للمهاجرين! وآخر يقول: يا للأنصار! فقال: «**ما بال دعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم؟**».

هذا، وهما اسمان شريفان، سماهم الله بهما في كتابه، فنهاهم عن ذلك، وأرشدهم إلى أن يتداعوا بـ«المسلمين، والمؤمنين، وعباد الله» وهي الدعوى الجامعة، بخلاف المفرقة. ك «الفلانية والفلانية» فالله المستعان.

وقال ﷺ لأبي ذر: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**». فقال: على كبر السن مني يا رسول الله؟ قال: «نعم».

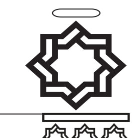
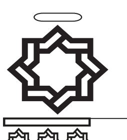
. . . . **فمن يأمن القراء بعدك يا شهر**[1]

ولا يذوق العبد حلاوة الإيمان، وطعم الصدق واليقين، حتى تخرج الجاهلية كلها من قلبه.

والله لوتحقق الناس في هذا الزمان ذلك من قلب رجل واحد لرموه عن قوس واحدة. وقالوا: هذا مبتدع، ومن دعاة البدع. فإلى الله المشتكى، وهوالمسؤول الصبر، والثبات، فلا بد من لقائه﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: ٦١] ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٢٧][2].



(١) عجز بيت. صدره: لقد باع شهر دينه بخريطة
(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٣٠- ١٣٢).

المحور الثاني عشر
الواجب تسكين الثائرة، وعدم إثارة الحفائظ مع غربة أهل السنة والحديث ما أمكن ذلك

طُبع الإنسان على حُبِّ الذات وإيثار الأنانية، وهومع ذلك يتقلب بين النفس الأمَّارة بالسوء، والشيطان المزين له سوء عمله، فمن أراد أن يزحزح امرءا عن سوء اعتقاد، أو سوء عمل، فدخل عليه من باب إظهار الشفقة عليه، والحرص على مصالحه الدينية، والمخاطبة له بلطيف القول.. فعسى أن يستميله، وينقذه مما شانه وأرداه، وإن دخل عليه من باب الفظاظة والتعالم عليه والتحدي له، والتزين له بادعاء السنة، وحراب البدعة.. ركب المدعو رأسه، وتأبط العناد والمكابرة، ولم يضِنَّ بنطاح من ناطحه، وأصبح الداعي كمن يحرث على أمواج بحر، أويضرب على حديد بارد.

قال شيخ الإسلام: كان من أسباب انتقاص هؤلاء المبتدعة للسلف ما حصل في المنتسبين إليهم من نوع تقصير وعدوان، وما كان من بعضهم من أمور اجتهادية الصوابُ في خلافها، فإن ما حصل من ذلك صار فتنة للمخالف لهم: ضل به ضلالا كبيرا[١].

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٥٥).

وقال أبوحامد الغزالي: التعصب سبب يُرَسِّخُ العقائد في النفوس، وهذا أيضا من آفات علماء السوء؛ فإنهم يبالغون في التعصب للحق، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار، فينبعث منهم الدواعي بالمكافأة والمقابلة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نُسبوا إليه.

ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة، لا في معرض التعصب والتحقير.. لأنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم.. اتخذوا التعصب عادتهم وآلَتَهُمْ، وسموه ذباً عن الدين، ونضالاً عن المسلمين. وفيه على التحقيق هلاك الخلق، ورسوخ البدعة في النفوس[١].

وقال أيضا: وأكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوامِّ بتعصب جماعة من جهال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلاء، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والإزراء، فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في نفوسهم الاعتقادات الباطلة، وعسر على العلماء المتلطِّفين محوها مع ظهور فسادها، حتى انتهى التعصب بطائفة إلى أن اعتقدوا أن الحروف التي نطقوا بها في الحال بعد السكوت عنها طول العمر قديمة. ولولا استيلاء الشيطان بواسطة العناد والتعصب للأهواء.. لما وجد مثل هذا

(١) إحياء علوم الدين (١/ ١٥٠).

الاعتقاد مستقراً في قلب مجنون فضلاً عمن له قلب عاقل.

والمجادلة والمعاندة داء محض، لا دواء له، فليحترز المتدين منه جهده، وليترك الحقد والضغينة، وينظر إلى كافَّة خلق الله بعين الرحمة(١)، وليستعن بالرفق واللطف في إرشاد من ضل من هذه الأمة، وليتحفظ من النكد الذي يحرك من الضالِّ داعية الضلالة، وليتحقق أن مهيج داعية الإصرار بالعناد والتعصب معين على الإصرار على البدعة، ومطالب بعهدة إعانته في القيامة(٢).

قال أبوإسحاق الشاطبي تعليقا على كلمة الغزالي - رحمة الله عليهما -: هذا ما قال. وهوالحق الذي تشهد له العوائد الجارية، فالواجب تسكين الثائرة ما قُدِرَ على ذلك(٣).

وقال العلامة الفقيه الأصولي علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ): «إن نفوس الكرام الرؤساء المقدَّمِين تأبى خشونة الكلام؛ إذ لا عادة لهم بذلك، وإذا نفرت النفوس عميت القلوب، وخمدت الخواطر، وانسدت أبواب الفوائد، فحرم الكل الفوائد بسفه السفيه، وتقصير الجاهل في حقوق الصدور؛ وقد أَدَّب الله تعالى أنبياءه للرؤساء من أعدائه، فقال لموسى وهارون في حق فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤].

---

(١) هذا بحاجة إلى تقييد؛ فإنَّ من عموم خلق الله من لا يستحق ذلك.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (٧٧).

(٣) الاعتصام (٣/ ١٦٧).

سمعت بعض المشاريخ في علوم القرآن يقول: صفة هذا القول اللين في قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النَّازعَات: ١٧-١٨] وما ذاك إلا مراعاة لقلبه، حتى لا ينصرف بالقول الخشن عن فهم الخطاب، فكيف برئيس تقدم في العلم، تطلب فوائده، ويرجى الخير في إيراده، وما تسنح له خواطره! فأحرى بنا أن نذلل له العبارة، ونوطئ له جانب الجدال لتنهال فوائده انهيالا»[١].

والعاقل يعتبر بحال الإمام ابن حزم رحمه الله مع علماء زمانه، وفقهاء وقته.

قال الإمام الذهبي رحمه الله: لم يك يُلَطِّف صَدْعه بما عنده بتعريض ولا بتدريج، بل يَصُكّ به من عارضه صَكَّ الجَنْدَل، ويُنْشِقه إنشاق الخردل، فتنفر عنه القلوب، وتوقع به الندوب، حتى استهدف لفقهاء وقته، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذَّروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامَّهم عن الدنومنه[٢].

والعاقل يعتبر أيضا بتلك الحكايتين اللتين ساقهما الإمام ابن حزم رحمه الله، ففيهما الدلالة على تمكن الأنفة من ناصية المرء إذا شعر بهضم نفسه، والتطاول عليها.

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: وقد حدثني يونس بن عبد الله بن مغيث قال: أدركت بقرطبة مقرئا يعرف بالقرشي، أحد مقرئين ثلاثة للعامة كانوا فيها، وكان هذا القرشي لا يحسن النحو، فقرأ عليه قارئ يوما في سورة ق

---

(١) التحبير شرح التحرير (٧/ ٣٧٢٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٠٠).

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [قٓ: ١٩] فرده عليه القرشي ﴿تَحِيدُ ١٩﴾ [قٓ: ١٩] بالتنوين فراجعه القارئ، وكان يحسن النحو، فلج المقرئ وثبت على التنوين، فانتشر ذلك الخبر إلى أن بلغ إلى يحيى بن مجاهد الفزاري الإلبيري، وكان منقطع القرين في الزهد والخير والعقل، وكان صديقا لهذا المقرئ فنهض إليه، فدخل عليه، وسلم عليه، وسأله عن حاله، ثم قال له: إنه بعد عهدي بقراءة القرآن على مقرئ فأردت تجديد ذلك عليك فسارع المقرئ إلى ذلك، فقال له الفزاري: أريد أن أبتدئ بالمفصل، فهوالذي يتردد في الصلوات، فقال له المقرئ: ما شئت، فبدأ عليه من أول المفصل، فلما بلغ سورة ق، وبلغ الآية المذكورة، ردها عليه المقرئ بالتنوين، فقال له يحيى بن مجاهد: لا تفعل، ما هي إلا غير منونة بلا شك، فلج المقرئ، فلما رأى يحيى بن مجاهد لجاجه.. قال له: **يا أخي، إنه لم يحملني على القراءة عليك إلا لترجع إلى الحق في لطف**، وهذه عظيمة أوقعك فيها قلة علمك بالنحو، فإن الأفعال لا يدخلها تنوين البتة، فتحير المقرئ إلا أنه لم يقنع بهذا، فقال يحيى بن مجاهد: بيني وبينك المصاحف، فبعثوا فأحضرت جملة من مصاحف الجيران، فوجدوها مشكولة بلا تنوين، فرجع المقرئ إلى الحق.

وحدثني حمام بن أحمد بن حمام قال: حدثني عبد الله بن محمد بن علي، عن اللخمي الباجي قال: حدثنا محمد بن عمر بن لبانة قال: أدركت محمد بن يوسف بن مطروح الأعرج يتولى صلاة الجمعة في جامع قرطبة، وكان عديم الورع، بعيدا عن الصلاح، قال: فخطبنا يوم الجمعة، فتلا في

خطبته ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] فقرأها بنونين «عننتم» قال: فلما انصرف.. أتيناه، وكنا نأخذ عنه رأي مالك، فذكرنا له قراءته للآية وأنكرناها، فقال: نعم، هكذا أقرأناها، وهكذا هي، فلج، فحاكمناه إلى المصحف، فقام ليخرج المصحف، ففتحه في بيته، وتأمله، فلما وجد الآية بخلاف ما قرأها عليه.. أنف الفاسق من رجوعه إلى الحق، فأخذ القلم وألحق ضرسا زائدا.

قال محمد بن عمر: فوالله لقد خرج إلينا والنون لم يتم بعدُ جفوفُ مدادها.

قال أبومحمد: فالأول واهم مغفل، والثاني فاسق خبيث[1].

وتأمل في خطابي شيخ الإسلام لبعض متصوفة زمانه، أحدهما: لأتباع عدي بن مسافر بن إسماعيل أبي محمد الهكاري (ت: **٥٥٧**) والثاني: لشيخ زاوية، وقائد طريقة صوفية، من طائفة ابن عربي، نصر أبي الفتح المنبجي، وكان من الساعين إلى حبس شيخ الإسلام وقتله، حيث كان له جاه ونفوذ عند السيء الذكر بيبرس الجاشنكير الخارج

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٤/ ١٦٣) قلت: أوكافر صنديد. وقال ابن حزم «الفصل في الملل والنحل» (٣/ ٢٠٩): إنَّ الأمَّة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم، وهو أنَّ كل من بدَّل آية من القرآن عامدًا، وهو يدري أنَّها في المصاحف بخلاف ذلك، أو أسقط كلمة عمدًا كذلك، أو زاد فيها كلمة عامدًا فإنَّه كافر بإجماع الأمّة كلها.

على السلطة الشرعية آنئذٍ، فاستخدم نصر المنبجي منزلته في الإيقاع بالشيخ.

كتب الشيخ لأولئك الأتباع هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من أحمد بن تيمية: إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة، المنتمين إلى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدي بن مسافر الأموي - رحمة الله عليه - ومن نحا نحوهم - وفقهم الله لسلوك سبيله، وأعانهم على طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وجعلهم معتصمين بحبله المتين، مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وجنبهم طريق أهل الضلال والاعوجاج، الخارجين عما بعث الله به رسوله ﷺ من الشرعة والمنهاج؛ حتى يكونوا ممن أعظم الله عليه المنة بمتابعة الكتاب والسنة[(١)].

وكتب إلى نصر المنبجي: بسم الله الرحمن الرحيم

من أحمد بن تيمية: إلى الشيخ العارف القدوة السالك الناسك أبي الفتح نصر، فتح الله على باطنه وظاهره ما فتح به على قلوب أوليائه، ونصره على شياطين الإنس والجن في جهره وإخفائه، ونهج به الطريقة المحمدية الموافقة لشرعته، وكشف به الحقيقة الدينية المميزة بين خلقه

---

(١) الرسالة السنية إلى الطائفة العدوية (٥٩).

وطاعته وإرادته ومحبته، حتى يظهر للناس الفرق بين الكلمات الكونية، والكلمات الدينية، وبين المؤمنين الصادقين الصالحين، ومن تشبه بهم من المنافقين كما فرق الله بينهما في كتابه وسنته.أما بعد[١].

ونختم هذا المحور بموقف رائع للشيخ العلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز مع الشيخ محمد الغزالي رحمهما الله تعالى في الملاطفة والملاينة، وبعد النظر، وسعة الأفق.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم بن أحمد بن الحمد: لما قدم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله إلى الرياض لاستلام جائزته المقدمة من لجنة جائزة الملك فيصل العالمية.. زار سماحة الشيخ في منزله.

وكانت في ذلك الوقت ضجة حول كتاب الشيخ الغزالي: «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث».

وقد قرئ ذلك الكتاب على سماحة الشيخ، فلما زاره الغزالي احتفى به، وأكرمه ولاطفه[٢]، وسأله عن الدعوة في الجزائر، وعن حاجتهم، وأخبر بأنه على أتم الاستعداد لدعمهم، وكان الشيخ الغزالي آنذاك رئيساً لجامعة في الجزائر.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٥٢).

(٢) هذا موقف الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز من الشيخ محمد الغزالي، وأما الشيخ مقبل الوادعي فالشيخ محمد الغزالي عنده: ضالٌّ ملحد! قال الحافظ ابن حجر: إنّ هذه الصيغة في العرف مستعملة للخارج عن الدين. «فتح الباري» (٢٢/ ٥٥).

وكان مجلس سماحته - كالعادة - عامراً بالزائرين، والسائلين، والمحتاجين، والضيوف، وكان الهاتف لا يتوقف رنينه، وكان كُتَّاب سماحته حوله يقرؤون، وهكذا، وكلما سنحت لسماحته فرصة التفت إلى الشيخ الغزالي وحياه ولاطفه.

فَأُعْجِبَ الشيخ الغزالي بما رأى، وكان ذلك بادياً عليه.

وفي تلك الأثناء قال سماحته للشيخ الغزالي: لقد قرأت كتابكم المذكور، ولا يخفى عليكم أن البشر عرضة للخطأ، ونحن وغيرنا عرضة لذلك، وقد قرأت شيئاً من كتابكم، وعليه بعض الملحوظات.

فقال الشيخ الغزالي: أنا يسعدني أن تكملوا قراءته، وأن توافوني بما تلاحظونه، وأنا إن شاء الله أصلحه، وذكر كلاماً نحوهذا.

وبينما كان سماحة الشيخ يرد على مكالمة هاتفية دار حديث بين الشيخ الغزالي، وبين أحد المشايخ الحاضرين، وهوالشيخ خير الدين وانلي من سوريا [١] فقال الشيخ خير الدين: أنتم قلتم: كذا وكذا، فانقض الغزالي

---

(١) كان من كبار الضباط في الجيش السوري، ومن كبار طلاب الشيخ المحدث الألباني، وكان شاعرا مفلقا خطيبا مفوها، وكان يخطب بجامع إبراهيم الخليل في دمشق، ثم طرده ومؤذنه بعض الغلاة المتصوفة بإيعاز من الحكومة الباطنية، فانتقل إلى مزرعة له في ريف دمشق بعد أن أصيب بفالج. زرته مع مجموعة من الجالية الصومالية في دمشق، فاستقبلنا وأتحفنا بكريم حديثه، وجميل حفاوته، وأنشدنا قصيدة أنشأها أيام الغزو الأمريكي الغادر المتوحش على الصومال، سماها -حسبما أذكر الآن- سُود الأُسُود على شر الكلاب.

عليه، واشتد النقاش.

ولما سمع سماحته كلامهما التفت إلى الغزالي وقال: ماذا عندكم؟ قال: كذا وكذا.

فخاطبهما جميعاً بأن هذه المسائل ينبغي أن توضع في إطارها، وأن نحرص كل الحرص على جمع كلمتنا، والبعد عن الخلاف، فنحن أمام أمور كبار تتعلق بأصول المسائل، وسكَّن من غضبهما، وانتهى الجدال.

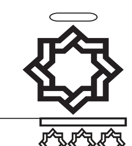
وكان الشيخ الغزالي مدعواً للغداء، ولكنه تأخر على من دعاه، وجلس عند سماحة الشيخ، وتناول معه الغداء.

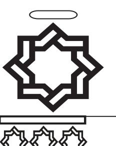
ولما همَّ بالخروج ألقى نظرة على سماحة الشيخ وقال: نحن بخير مادام فينا هذا الرجل.

وبلغني أنه لما وصل إلى من دعاه قالوا له: لما ذا تأخرت؟ قال: كنا في عالم ثانٍ![١].



(١) جوانب من سيرة ابن باز (١٧٩).





المحور الثالث عشر

مراعاة طبقات الناس وتفاوتهم في قدر الفهم؛ لتمييز ما يلقى إليهم مما لا يُلقى إليهم بل يُزجرون عنه، حفظا لمستوى القرائح والفهوم

طبقات الناس متفاوتة بالنسبة إلى العلم الذي يُلقى إليها، فكل شريحة من شرائح الأمة تستوعب قدرا لا تتجاوزه يناسب سِنَّها، أو معارفها الأوليَّة، فمن مقتضى الحكمة والنصيحة أن يراعى ما يلقى إلى العامة، وصغار طلبة العلم، فلا يُحمَّلون ما ينبو عنه فهمهم، أو يعلو على مداركهم من القضايا الشائكة، وأن يُكَفُّوا عن تقويمهم العلماء ونقدهم، وإقحامهم أنفسهم فيما لا يحسنونه؛ فإنَّ هذا ليس من شأنهم، فربما يكون ذلك فتنة على بعضهم.

وقد دلت الآثار على هذا المقتضى.

روى الإمام البخاري، وأبوبكر البيهقي - واللفظ للبيهقي - عن أبي الطفيل قال: سمعت عليا يقول: أيها الناس أتريدون أن يكذب الله ورسوله، حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون[(١)].

(١) صحيح البخاري ح ١٣١ والمدخل إلى علم السنن (١/ ٣٦٢).

قال الإمام ابن الملقن: معناه أنه ينبغي أن يحدث كل أحد على قدر فهمه، ولا يحدثه بما يشتبه عليه، فيذهب في معناه إلى غير ما أريد به، وقد ذكر مسلم في مقدمة «صحيحه» بإسناده الصحيح إلى ابن مسعود ﷺ قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّث قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَة»(١)

وقال أبوقلابة ﷺ: لا تحدث بحديث من لا يعرفه، فإنَّ من لا يعرفه يضره ولا ينفعه(٢)..

قال الإمام علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي القارئ: حلفت أن لا أكلِّم عاميًّا إلَّا بما يوافقه ويشبه كلامه(٣).

قال شيخ الإسلام: والواجب أمر العامة بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف؛ فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله(٤).

وقال أيضا: إن المسائل الخبرية العلمية قد تكون واجبة الاعتقاد، وقد تجب في حال دون حال، وعلى قوم دون قوم، وقد تكون مستحبة غير واجبة، وقد تستحب لطائفة، أوفي حال كالأعمال سواء.

وقد تكون معرفتها مضرة لبعض الناس، فلا يجوز تعريفه بها، كما قال علي ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣/ ٦٥٥).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٨).
(٣) أنس المحاضرة بما يستحسن في المذاكرة (ص١٣٣).
(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٣٧).

يكذب الله ورسوله».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما من رجل يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم».

وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه لمن سأله عن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٢] الآية، فقال: «ما يؤمنك أني لوأخبرتك بتفسيرها لكفرت؟ وكفرك تكذيبك بها»[(١)].

وقال أيضا: وقد اتفقت الأئمة على أن الواجب على المسلمين ما أوجبه الله ورسوله، وليس لأحد أن يوجب على المسلمين ما لم يوجبه الله ورسوله.

والكلام الذي ذكره بعضه قد ذكره الله ورسوله، فيجب التصديق به، وبعضه لم يذكره الله ولا رسوله، ولا أحد من السلف والأئمة، فلا يجب على الناس أن يقولوا ما لم يوجب الله قوله عليهم.

وقد يقول الرجل كلمة وتكون حقا، لكن لا يجب على كل الناس أن يقولوها، وليس له أن يوجب على الناس أن يقولوها، فكيف إذا كانت الكلمة تتضمن باطلا[(٢)].

وقال أيضا: وأما أن يكون الكتاب أوالسنة نهى عن معرفة المسائل التي تدخل فيما يستحق أن يكون من أصول دين الله، فهذا لا يكون،

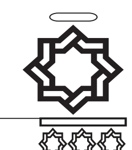
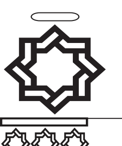
(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٨٧).

اللهم إلا أن ننهى عن بعض ذلك في بعض الأحوال، مثل مخاطبة شخص بما يعجز عنه فهمه فيضل، كقول عبدالله بن مسعود: «ما من رجل يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم» وكقول علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله». أومثل قول حق يستلزم فسادا أعظم من تركه فيدخل في قوله: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم.[١].

وقال أيضا - لما اختلف أهل البحرين في مسألة عقدية، وهي مسألة رؤية الكفار ربهم يوم القيامة -: إنَّه لا ينبغي لأهل العلم أن يجعلوا هذه المسألة محنة وشعارا يفضلون[٢] بها بين إخوانهم وأضدادهم؛ فإن مثل هذا مما يكرهه الله ورسوله. وكذلك لا يفاتحوا فيها عوام المسلمين الذين هم في عافية وسلام عن الفتن، ولكن إذا سئل الرجل عنها، أورأى من هوأهل لتعريفه ذلك.. ألقى إليه مما عنده من العلم ما يرجوالنفع به، بخلاف الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، فإن الإيمان بذلك فرض واجب؛ لما قد تواتر فيها عن النبي ﷺ وصحابته وسلف الأمة[٣].



(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣١١)
(٢) كذا في الأصل، ولعلّها: يفصلون.
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٤).

المحور الرابع عشر
لا يُنهى عن نور فيه ظلمة إلا أن يمكن إيجاد نور لا ظلمة فيه

قال شيخ الإسلام: قد يقترن بالحسنات سيئات: إما مغفورة أو غير مغفورة.

وقد يتعذر أويتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة إلا بنوع من المحدث؛ لعدم القائم بالطريق المشروعة علما وعملا. فإذا لم يحصل النور الصافي بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف، وإلا بقي الإنسان في الظلمة.. فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة، إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية إذا خرج غيره عن ذلك؛ لما رآه في طرق الناس من الظلمة[١].

وقال أيضا: لما تغيَّر الناس، وصاروا يفعلون بدعة، ويتركون شرعة، وفي البدعة مصلحة مَّا، إن تركوها ذهبت المصلحة، ولم يأتوا بالمشروع.. صار الواجب أمرهم بالمشروع المصلح لتلك المصلحة مع النهي عن البدعة، وإن لم يمكن ذلك فُعِل ما يمكن، وقدم الراجح.

فإذا كانت مصلحة الفعل أهمَّ لم ينه عنه؛ لما فيه من المفسدة إلا مع

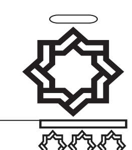
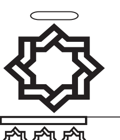
(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٤).

تحصيل المصلحة، وإن كانت مفسدته أهمَّ نُهِي عنه.

وهذه الوقوف التي على الترب فيها من المصلحة بقاء حفظ القرآن وتلاوته، وكون هذه الأموال معونة على ذلك، وحاضَّة عليه؛ إذ قد يدرس حفظ القرآن في بعض البلاد بسبب عدم الأسباب الحاملة عليه، وفيها مفاسد أخر: من حصول القراءة لغير الله، والتآكل بالقرآن، وقراءته على غير الوجه المشروع، واشتغال النفوس بذلك عن القراءة المشروعة، فمتى أمكن تحصيل هذه المصلحة بدون ذلك.. فالواجب النهي عن ذلك والمنع منه وإبطاله، وإن ظُنَّ حصول مفسدة أكثر من ذلك لم يدفع أدنى الفسادين باحتمال أعلاهما[1].



(١) جامع المسائل (٣/ ١٣٤). قلت: كانت عادة بعض الناس في زمن شيخ الإسلام الذين كانوا يريدون أن يستمطروا لموتاهم الرحمة والمغفرة من الله سبحانه وتعالى ممن يغلبه الجهل، أو يتجاهل =أن يوقف أرضًا أو بستانًا أو دارًا أو ما أشبه ذلك على قبور موتاهم، ويصرف ريع ذلك لمن يتردَّد على قبور موتاهم أو يرابط عليها، فيقرأ القرآن عليها، وكانوا يسمُّون القبر تربة.

المحور الخامس عشر

لا عبرة بالأسماء والمصطلحات التي قد تتسمَّى بها الطوائف والجماعات والأفراد من حيث إناطة المدح والذم والولاء والبراء بها، بل مَردُّ ذلك كله إلى مقتضى الأسماء المذكورة في كتاب الله ﷻ.

قال الله عز وجل: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨]ز

روى الإمام أبوجعفر الطبري وأبومحمد بن أبي حاتم الرازي عن ابن عباس في قوله ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحجّ: ٧٨] قال: الله سمَّاكم المسلمين من قبل.

وروى أبومحمد بن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ [الحجّ: ٧٨] قال: الله عز وجل سمَّاكم ﴿مِن قَبْلُ﴾ [المؤمنون: ٨٣] قال: الكتب كلها، وفي الذِّكر ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ [الحجّ: ٧٨] قال: القرآن(١).

وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه أنَّ نبي الله ﷺ، قال: «**ومن دعا بدعوى الجاهلية فهومن جُثا جهنَّم**»، قالوا: يا رسول الله، وإن صام، وإن صلَّى؟ قال: «**وإن صام، وإن صلَّى،**

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٦٤٥) وتفسير القرآن العظيم بواسطة الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور (١٠/ ٥٥٠).

وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم، بما سمَّاهم الله عَزَّوَجَلَّ: المسلمين، المؤمنين، عباد الله عَزَّوَجَلَّ»[١].

وروى الإمام أبوبكر بن أبي شيبة بسنده عن أبي قلابة، عن الصحابي الجليل عبدالله بن يزيد بن زيد الأنصاري قال: تسمَّوا بأسمائكم التي سمَّاكم الله: بالحنيفية، والإسلام، والإيمان[٢].

قال شيخ الإسلام: والأقوال إذا حكيت عن قائلها، أونسبت الطوائف إلى متبوعها.. فإنما ذاك على سبيل التعريف والبيان، وأما المدح والذم، والموالاة والمعاداة فعلى الأسماء المذكورة في القرآن العزيز، كاسم المسلم، والكافر، والمؤمن، والمنافق، والبر، والفاجر، والصادق، والكاذب، والمصلح، والمفسد، وأمثال ذلك[٣].

وقال أيضا: و«أولياء الله» هم المؤمنون المتقون سواء سمي أحدهم فقيرا، أو صوفيا، أو فقيها، أو عالما، أو تاجرا، أو جنديا، أو صانعا، أو أميرا، أو حاكما، أو غير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يُونس: ٦٢-٦٣][٤].

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٨/ ٤٠٦) وسنن الترمذي (٥/ ١٣٨) والسنن الكبرى (١١/ ٢٣٨).
(٢) المصنف (١٥/ ٦٠٦).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٧٣).
(٤) مجموع الفتاو ى (١١/ ٢٢).

قلت: لا يريد الشيخ قطعًا حسبما عرف من استقراء مقالاته ومواقفه مُدَّعي التصوف اليوم وقبل اليوم ممن يتَّخذ الشرك نحلة، ووحدة الوجود دينًا، والبدع طريقة، وتحريف أسماء الله وصفاته ديدنًا، بل يريد الذين كان يُطلق عليهم هذا اللقب ممن غلبه التألُّهُ والتعبُّدُ، والزهد والورع، كإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي، ويوسف بن أسباط وأمثالهم رحم الله الجميع. وجاء مصطلح التصوف والصوفي في ألسنة بعض أئمة السنة مقصودًا به التألُّه والزهد.

وقال الشيخ أيضًا في هذا المجال: والشيوخ الأكابر الذين ذكرهم أبو عبدالرحمن السلمي في طبقات الصوفية وأبو القاسم القشيري في الرسالة كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث كالفضيل بن عياض والجنيد بن محمد وسهل بن عبدالله التستري وعمرو بن عثمان المكي وأبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي وغيرهم وكلامهم موجود في السنة وصنفوا فيها الكتب لكن بعض المتأخرين منهم كان على طريقة بعض أهل الكلام في بعض فروع العقائد ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث وهم خيارهم وأعلامهم، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام، فهؤلاء دونهم، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة كهؤلاء الملاحدة[١].

---

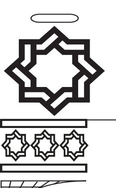
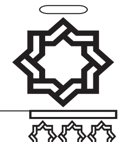
(١) الصفدية (٢٦٧).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: إنما التصوف والتأله والسلوك والسَّيْرُ والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوامِّ، والتواضع للمؤمنين، والتعزُّزِ على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

والعالم إذا عري من التصوف والتأله.. فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة.. زل عن سواء السبيل(١).



(١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٠).

المحور السادس عشر
مكانة الإمام الشافعي ومنزلة علمه لدى أئمة الدين

كانت هذه الأسماء: أصحاب رسول الله ﷺ: المهاجرون، والأنصار أسماء أسمى الشرع الحنيف بها هؤلاء النخبة من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم اصطلح التابعون لهم ومن بعدهم على أسماء ومصطلحات تدل على مكانة المرء دينا وعلما وعملا، كقولهم: مجدِّد الدين، شيخ الإسلام، الإمام، الحجة، الثقة، العدل، الصالح، وهكذا ولعل أرفع لقب، وأعلى اسم يُثنى به على المرء أن يطلق عليه مجدد هذا الدين.

وقد أدخل إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل الشافعيَّ في جملة المجددين لهذا الدين.

روى أبوبكر البيهقي بسنده قال: قال أحمد بن حنبل: وذُكر في الخبر: أن الله يُقَيِّض في رأس كل مائة سنة رجلا يعلم الناس دينهم. فكان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وفي المائة الثانية الشافعي، وإني لأدعوللشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي[1].

وروى أيضا بسنده عن عبد الملك - يعني ابن عبد الحميد الميموني - قال: قال لي أحمد بن حنبل: ما لك لا تنظر في كتب الشافعي؟ فما من

---

(١) المدخل إلى علم السنن (١/ ٢٢).

أحد وضع الكتب حتى ظهرت أتبع للسنة من الشافعي رضي الله عنه[١].

وروى أيضا بسنده عن أحمد بن الليث يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إني لأدعوالله للشافعي في صلاتي منذ أربعين سنة، أقول: اللهم اغفر لي، ولوالديّ، ولمحمد بن إدريس الشافعي؛ فما كان منهم أتبع لحديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم منه[٢].

وروى أبوبكر البيهقي بسنده عن المروروذي صاحب أحمد بن حنبل يقول: قال أحمد: إذا سُئلتُ عن مسالة لا أعرف فيها خبرا.. قلت فيها بقول الشافعي؛ لأنه إمام عالم من قريش، ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: عالم قريش يملأ الأرض علما[٣].

قال الحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي رحمه الله: قال عبد الملك بن محمد في قوله صلى الله عليه وسلم: «**فإن عالمها يملأ الأرض علما، ويملأ طباق الأرض**»علامة بينة للمميز أن المراد بذلك رجل من علماء هذه الأمة من قريش، قد ظهر علمه وانتشر في البلاد، وكتبوا تآليفه كما تكتب المصاحف، واستظهروا أقواله، وهذه صفة لا نعلمها قد أحاطت إلا بالشافعي؛ إذ كان كل واحد من قريش من علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وإن كان علمه قد ظهر وانتشر فإنه لم يبلغ مبلغا يقع تأويل هذه الرواية عليه؛ إذ كان لكل واحد منهم نتف وقطع من العلم، ومسيئلات، وليس في كل بلد

---

(١) المدخل (١/ ٧).

(٢) مناقب الشافعي (٢/ ٢٥٤).

(٣) المدخل إلى علم السنن (١/ ٣٢).

من بلاد المسلمين مدرس ومفتي ومصنف يصنف على مذهب قرشي إلا على مذهبه، فعلم أنه يعنيه، لا غيره، وهوالذي شرح الأصول والفروع، وازدادت على مر الأيام حسنا وبيانا[١].

وروى أبوبكر البيهقي أيضا عن أبي بكر المروروذي قال: قال لي أحمد بن حنبل: إذا جاءت مسألة ليس فيها أثر فأفتِ فيها بقول الشافعي رضي الله عنه[٢].

وروى أيضا بسنده عن أيوب بن إسحاق يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما تكلم في العلم رجل أقل خطأ، ولا آخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم من الشافعي، رضي الله عنه وأرضاه[٣].

وروى أيضا بسنده عن محمد بن مسلم بن وارَة يقول: لما قدمت من مصر.. أتيت أبا عبدالله أحمد بن حنبل لأسلم عليه، فقال لي: كتبت كتب الشافعي؟ فقلت: لا، فقال لي: فرّطت. ما عرفنا العموم من الخصوص، وناسخ حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم من المنسوخ حتى جالسنا الشافعي، رحمه الله. قال ابن وارة: فحملني ذلك أن رجعت إلى مصر وكتبتها[٤].

وروى أيضا بسنده عن صالح بن أحمد قال: جاء الشافعي يوما إلى

---

(١) تاريخ مدينة السلام (٢/ ٣٩٨).
(٢) مناقب الشافعي (٢/ ٢٥٨).
(٣) مناقب الشافعي (٢/ ٢٥٨).
(٤) مناقب الشافعي (٢/ ٢٥٨).

أبي يعوده، وكان عليلا، فوثب إليه أبي فقبّل ما بين عينيه، ثم أجلسه في مكان وجلس بين يديه، فجعل يسائله ساعة. قال: فلما قام الشافعي ليركب.. وثب أبي، فأخذ بركابه، ومشى معه. فبلغ يحيى بن معين، فوجه إلى أبي: يا سبحان الله! اضطرك الأمر إلى أن تمشي إلى جانب بغلة الشافعي؟ فقال له أبي: وأنت لومشيت من الجانب الآخر لانتفعت. ثم قال أبي: من أراد الفقه فَلْيَشُمَّ ذنب هذه البغلة(١).

وروى الحافظ أبو بكر الخطيب بسنده عن الفضل بن زياد قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أحد مَسَّ بيده مِحْبَرة، ولا قلمًا إلا وللشافعي في رقبته مِنَّة.

قال أبو بكر الخطيب: فهذا قول سيِّد أصحاب الحديث وأهله، ومن لا يختلف العلماء في ورعه وفضله، ويَحِقُّ له ذلك. وقد كان أحد تلاميذ الشافعي، ومن أعيان أصحابه، وأكثر الناس ملازمة له، وأشدِّهم حرصًا على سماع كتبه، وأَحَضِّهم للخلق على حفظ علمه. ومن شكره للشافعي قال هذا القول، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عَزَّوَجَلَّ(٢).

وروى أبوبكر البيهقي بسنده عن يحيى بن منصور القاضي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمه - وقلت له: هل تعرف سنة لرسول الله ﷺ في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتابه؟ -

---

(١) مناقب الشافعي (٢/ ٢٥٣).

(٢) مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه والرد على الطاعنين بِعِظَم جَهْلِهم عليه (٣٧١).

قال: لا[١].

وروى أبوعمر بن عبدالبر، وأبوبكر البيهقي عن حوثرة بن محمد المِنْقَري يقول: تَتَبيَّن السنة في الرجل في اثنين: في حبه أحمد بن حنبل، وكتابة كتب الشافعي[٢].

وقال الإمام الحافظ أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني رحمه الله: لا أحب أن يحضر مجلسي مبتدعٌ، ولا طعّان، ولا لعّان، ولا فاحش، ولا بذيء، ولا منحرف عن الشافعي، ولا عن أصحاب الحديث[٣].

قال القاضي عياض بن موسى أبوالفضل السبتي: تحزبت طائفة أهل الحديث على أهل الرأي، وأساؤوا فيهم القول والرأي.

قال أحمد بن حنبل: ما زلنا نلعن أهل الرأي ويلعنوننا حتى جاء الشافعي، فمزج بيننا.

يريد أنه تمسك بصحيح الآثار واستعملها، ثم أراهم أن من الرأي ما يحتاج إليه، وتنبني أحكام الشرع عليه، وأنه قياس على أصولها ومنتزع منها.

وأراهم كيفية انتزاعها، والتعلق بعللها وتنبيهاتها.

---

(١) المدخل إلى علم السنن (١/ ٧).
(٢) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء (١٤٤)، ومناقب الشافعي (١/ ٢٧١).
(٣) ومناقب الشافعي (١/ ٥٩).

فعلم أصحاب الحديث أن صحيح الرأي فرع للأصل، وعلم أصحاب الرأي أنه لا فرع إلا بعد الأصل، وأنه لا غنى عن تقديم السنن وصحيح الآثار أولاً[(١)].

ولله دَرُّ العالم العادل يحيى بن محمد بن هُبَيرة عون الدين أبي المظفَّر الشيباني البغدادي وزير خلافة الخليفة العبَّاسي المقتفي لأمر الله أبي عبدالله محمد بن المستظهر بالله رحمهم الله قال في حكمة مؤثِّرة: والله ما نترك أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب مع الرافضة، نحن أحقُّ به منهم؛ لأنَّه منَّا ونحن منه، ولا نترك الشافعي مع الأشعريَّة، فإنَّا أحقُّ به منهم[(٢)].

قال أبوالفضل جلال الدين السيوطي:

وكان عند المائة الثانية: إظهار المأمون القول بخلق القرآن، وغير ذلك من البدع الاعتقادية، وامتحانه العلماء بذلك امتحانًا عامًا في الأقطار، ومن لم يجب ضُرِبَ، أوقُيِّد وحُبِس، أوقُتِل، وذلك من أعظم الفتن في هذه الأمة، ولم يدع خليفة قبله إلى شيء من البدع، فقيض الله عند هذه المائة الشافعي رحمه الله فطبق الأرض بعلومه، وهوأول من أفتى بقتل من قال بخلق القرآن، وتكفيره[(٣)].

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ٩١).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٦).

(٣) التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كلِّ مائة (٣١٥).

وقال الإمام المحدِّث مؤرِّخ الإسلام أبو عبدالله شمس الدين الذهبي:

الشافعية أكيس الناس وأعلم من غيرهم بالدين، وأُسُّ مذهبهم مبني على اتباع الحديث المتصل الثابت، وإمامهم من رؤوس أصحاب الحديث، ومناقبه جمة، فإن حصلت -يا فلان- مذهبه؛ لتدين الله تعالى به، وتدفع عن نفسك الجهل.. فأنت بخير، وإن كانت همتك كهمة إخوانك من الفقهاء البَطَّالين الذين قصدهم المناصب، والمدارس، والدنيا، والرفاهية، والثياب الفاخرة.. فماذا بركة العلم، ولا هذه نية خالصة، بل ذا بيع للدين بحسن عبارة، وتعجيل للأجر، وتحمل للوزر، وغفلة عن الله تعالى، فلو كنت ذا صنعة.. لكنت بخير، تأكل من كسب يمينك، وعرق جبينك، وتزدري نفسك، ولا تتكبرُ بالعلم، أو كنت ذا تجارة.. لكنت تشبه علماء السلف الذين ما أبصروا المدارس، ولا سمعوا بالجهات، وهربوا لما طلبوا للقضاء، وتعبدوا بعلمهم، وبذلوه للناس، ورضوا بثوب خام، وبكسرة، كما كان من قريب الإمام أبو إسحاق الشيرازي، وبالأمس الشيخ محيي الدين النووي، وكما تَرَى اليوم عبدالله بن خليل.

وعلى كل تقدير احذر المراء في البحث وإن كنت محقا، ولا تنازع في مسألة لا تعتقدها، واحذر الكبر والعجب بعلمك، فيا سعادتك إن نجوت منه كفافا، لا عليك، ولا لك[1].

---

(١) بيان زغل العلم (٧٩).

عبرة:

طِيب النفس في الحياة علما وعملا أثمر طيب النفس وحسن الأُحدُوثة العاطرة للإمام.

قال مؤرخ مصر تقي الدين المقريزي: ومن أبدع ما حكي من مناقبه -يعني الشافعي- أنّ الوزير نظام الملك أبا عليّ الحسن بن عليّ بن إسحاق لما بنى المدرسة النظامية ببغداد في سنة أربع وسبعين وأربعمائة، أحب أن ينقل الإمام الشافعيّ من مقبرته بمصر إلى مدرسته، وكتب إلى أمير الجيوش بدر الجماليّ -وزير الإمام المستنصر بالله معدّ- يسأله في ذلك، وجهز له هدية جليلة، فركب أمير الجيوش في موكبه، ومعه أعيان الدولة، ووجوه المصريين من العلماء وغيرهم، وقد اجتمع الناس لرؤيته، فلما نبش القبر شق ذلك على الناس، وماجوا، وكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، وهموا برجم أمير الجيوش والثورة به، فسكّتهم وبعث يعلم الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بصورة الحال، فأعاد جوابه بإمضاء ما أراد نظام الملك، فقرئ كتابه بذلك على الناس عند القبر، وطردت العامّة والغوغاء من حوله، ووقع الحفر حتى انتهوا إلى اللحد، فعندما أرادوا قلع ما عليه من اللبن خرج من اللحد رائحة عطرة أسكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعى، فما أفاقوا إلّا بعد ساعة، فاستغفروا مما كان منهم، وأعادوا ردم القبر كما كان، وانصرفوا[١].

---

(١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار (٤/ ٢/ ٩١٠).

وقال الإمام الذهبي: رُوِي عنه[١] أنه قال: لم يكن لي حسن رأي في الشافعي، فبينا أنا قاعد في مسجد النبي ﷺ أغفيت، فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، أكتب رأي الشافعي؟

فطأطأ رأسه شبه الغضبان وقال: «تقول رأي؟ ليس هو بالرأي، هو رد على من خالف سنتي».

فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر، فكتبت كتب الشافعي[٢].

وقال أيضًا: قال الحسين بن يوحن الباوري: كنت في مدينة الخان، فسألني سائل عن رؤيا، فقال: رأيت كأن رسول الله ﷺ توفي.

فقال: إن صدقت رؤياك . . يموت إمام لا نظير له في زمانه، فإن مثل هذا المنام رئي حال وفاة الشافعي، والثوري، وأحمد بن حنبل.

قال: فما أمسينا حتى جاءنا الخبر بوفاة الحافظ أبي موسى المديني[٣].

والذي حملني على جمع هذه الكلمات من فضائل الشافعي رحمة الله عليه موقف الشيخ مقبل الوادعي ﵀ من علم أئمة الدين قال: «رب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ [النِّسَاء: ٨٢] فلما كانت المذاهب من عند غير الله وجد فيها

---

(١) يعني الإمام الحافظ محمد بن نصر بن الحجاج أبا عبدالله المروزي.
(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٤/ ٣٨).
(٣) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢١/ ١٥٦).

الاختلاف، فربما تجد في المسألة الواحدة في المذهب الواحد أربعة أقوال. وناهيك أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ له مذهبان: المذهب القديم، وهوالذي ألفه بالعراق، ثم المذهب الجديد، وهوالذي ألفه بمصر، وتراجع عن جُلِّ المذهب القديم. هذا يدل على أن هذه المذاهب مبنية على الهُيام»[(١)].

قال العلَّامة محمد بن أحمد بن طلحة أبومنصور اللغوي الأزهري الشافعي نقلًا: والهُيام كالجنون من العشق[(٢)].

وعلى ذلك فهذه المذاهب الأربعة -ومن بينها مذهب الإمام الشافعي- مبنية على الهيام عند الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ، والشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ من المجدِّدين لهذا الدين عند إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل! يا لَهَول الفجوة السحيقة بين أئمة المذاهب الأربعة وأتباعهم، وبين الوادعي وأتباعه على هذا الفهم، ومن له يدان في رَدْمِ هذه الفجوة؟!

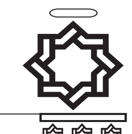
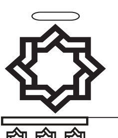
وستأتي إن شاء الله وقفة أخرى مع هذه الكلمة وأخوات لها في القسم الثاني من هذه الرسالة.



---

(١) إجابة السائل على أهم المسائل (٣٢٣).

(٢) تهذيب اللغة (٦/ ٤٦٧).

المحور السابع عشر

التاريخ عِبرَ وعِظات، والمُوَفَّق من اعتبر بعبره، واتَّعظ بعظاته، ووعى دروسه.

قال العلامة الفقيه المُرَبِّي عثمان بن مرزوق بن حميد أبو عمرو القرشي الحنبلي: والعالَم كتاب يَقْرأُ حُروفَ أشخاصِه المُتَبَصِّرون على قدر بصائرهم[1].

وعلى ذلك فالمتبصِّر في تاريخ المذاهب والنِّحَل يرى بروز مذاهب سُنِّيَّة وَسَطِيَّة امتدادًا لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، سُجِّلت بأقلام من الاعتدال، وأَخْبار من التوفيق فيما يتعلق بالسنَّة والبدعة فهمًا وعملًا ودعوةً على صفحات الزمن، ويرى المتبصِّر أيضًا مسالك غالية، ومسارب جافية تنكَّبَت عن الدرب الوسط، وسلكت بُنَيَّاته، فغلت الغالية فيما يتعلَّق بالسنة والبدعة وتنطَّعت، وجافت الجافيه فيهما وَفَرَّطت فلم تميِّز بين السنَّة والبدعة، ولم تُعْنَ بالاجتهاد في فهمهما، فتعبَّدت لله بالبدع والمحدثات، فتقاسما الغُلوَّ والجفاء، والإفراط والتفريط، ودين الله دائمًا بين الغالي فيه والجافي عنه. فدونك مقالات لبعض علماء أهل السنة في الغلوِّ والإفراط.

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٤).

قال الإمام الناقد شمس الدين الذهبي في ترجمة عبدالساتر بن عبدالحميد بن محمد تقي الدين أبي محمد المقدسي الحنبلي الصالحي: وعُنِي بالسنَّة، وجمع فيها، وناظر الخصوم وكفَّرهم، **وكان صاحب حِزْبِيَّةٍ وتَحَرُّقٍ على الأشعريَّةِ**، فرموه بالتجسيم، **ثم كان منابذًا لأصحابه الحنابلة**. وفيه شراسة أخلاق مع صلاح ودين يابس[1].

وقال أيضًا: وكان فيه غلوٌّ في السنَّة ومنابذة للمتكلمين، ومبالغة في اتباع النصوص... وكان الواقع بينه وبين شيخنا العلامة شمس الدين بن أبي عمر وأصحابه، وهو فكان حنبليًا خشنًا متحرِّقًا على الأشعرية[2].

وقال الإمام الحافظ عبدالرحمن بن أحمد بن رجب في ترجمة عبدالساتر: وعُني بالسنة، وجمع فيها، وناظر الخصوم وكفَّرهم، **وكان صاحب جُرْأَةٍ وتحرُّق على الأشعرية**[3].

سبحان الله! وَصَمَ الإمام الذهبي عبدالساتر بالحِزْبِيَّةِ، والإمام ابن رجب بالجُرْأَةِ، وكأنَّ الحزبية والجرأة على المخالف في الفهم لازمتان للغلو في السنَّة لزوم الظلِّ للشاخِص، فها هو الإمام الذهبي قد عرف الحزبية التي يتحرَّقُ هؤلاء الغلاة اليومَ عليها قبل سبعة قرون، وألصقها بأهل الغلو والتنطع. هذا، وقد عايشت طائفة تنتسب إلى السنة تُرْمَى من قبل أصحاب الغلوِّ والتعَمُّق= بالحزبية والبدعة، وتُنْصَبُ لها العداء،

---

(١) العبر في خبر من غبر (٥/ ٣٢٤).
(٢) تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٧٤).
(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٤/ ١٥٦).

كما عايشت الطائفة الأخرى الغالية الرامية، فلم أر في الحقيقة طائفة تنتسب إلى السنة أكثر تعصبًا لشرائحها، وأشدَّ انغلاقًا عن غيرها، وأكثر انفتاحًا على أعضائها منها، وكأنَّ القوم يتمرَّغون في أوحال الحزبيَّة، ويتحرَّقون عليها في نفس الوقت، ويرمونها على غيرهم، وتلك شهادة أُؤَدِّيها، وما شهدتُّ إلا بما علمت. وهذا موضع الأمثال العربيَّة «عَيَّر بُجَيْرُ، بُجَرَهْ، ونَسِيَ بُجَيْرٌ بُجَرَهْ» والبُجَرُ العيوب، و«رمتني بدائها وانسلَّت» و«مُحْتَرِسٌ من مثله، وهو حارس».

وقال الإمام ابن رجب في ترجمة أحمد بن الحسين بن أحمد أبي العباس المعروف بالعراقي: وكان متشدِّدًا في السنة. ويقال: إنَّه منع الحافظ عبدالغني من الاجتماع بابن عساكر الحافظ والسماع منه، وندم الحافظ على ذلك.

وكان يقول: كان عندنا في «الحَرْبِيَّةِ»[١] قوم من المتشدِّدين يُسَمَّون «السبعة» لا يُسلِّمون على من سَلَّم إلى سبعة على مبتدع[٢].

وقال الإمام الفقيه عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة موفق الدين أبو محمد المقدسي الصالحي الحنبلي صاحب كتاب المغني في الفقه: كنت أتخيل فِي الناصح أَن يَكُون إماما بارعا، وأفرح بِهِ للمذهب؛ لما فضله اللَّه به من شرف بيته، وإعراق نسبه فِي الإِمامة، وَمَا آتاه اللَّه تَعَالَى من بسط

(١) حي من أحياء بغداد، تنسب إلى حرب بن عبدالله البلخي، أحد قواد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٩٦).

اللسان، وجراءة الجنان، وحدة الخاطر، وسرعة الجواب، وكثرة الصواب. وظننت أَنَّهُ يَكُون فِي الفتوى مبرزا عَلَى أَبِيهِ وغيره، إِلَى أَن رأيت لَهُ فتاوى غيره فِيهَا أسدُّ جوابا، وأكثر صوابا. وظننت أَنَّهُ ابتلي بِذَلِكَ لمحبته تخطئة النَّاس، واتباعه عيوبهم. ولا يبعد أَن يعاقب اللَّه العبد بجنس ذنبه - إِلَى أَن قَالَ: والناصح قَدْ شغل كثيرا من زمانه بالرد عَلَى النَّاس فِي تصانيفهم وكشف مَا استتر من خطاياهم ومحبة بيان سقطاتهم. ولا يبلغ العبد حقيقة الإِيمان حَتَّى يحب للناس ما يحب لنفسه، أفتراه يحب لنفسه بعد موته من ينتصب لكشف سقطاته، وعيب تصانيفه وإظهار أخطائه. وكما لا يحب ذَلِكَ لنفسه ينبغي أَن لا يحبه لغيره، سيما للأئمة المتقدمين، وَالْعُلَمَاء المبرزين. وَقَدْ أرانا اللَّه تَعَالَى آية فِي ذهابه عَنِ الصواب فِي أشياء تظهر لمن هُوَ دونه[1].

قال الإمام الذهبي:

قال السمعاني: سألت أبا القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ= عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله [بن منده] فسكت ساعة وتوقَّف، فراجعته، فقال: سمع الكثير، وخالف أباه في مسائل، وأعرض عنه مشايخ الوقت، وما تركني أبي أسمع منه.

وقال عبداللطيف بن أبي سعد البغدادي: سمعتُ أبي قال: سمعت صاعد بن سيَّار

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ٤٣٠).

الهروي يقول: سمعت الإمام عبدالله بن محمد الأنصاري يقول في عبدالرحمن بن منده: كانت مَضَرَّتُه في الإسلام أكثر من منفعته[١].

وقال الإمام الذهبي في عبدالرحمن: أطلق عبارات بَدَّعه بعضهم بها، الله يسامحه، وكان زَعِرًا على من خالفه، **فيه خارجيَّة**[٢]، **وله محاسن**[٣].

وقال فيه أيضًا: وفيه تَسَنُّنٌ مُفْرِط، أوقع بعضَ العلماء في الكلام في معتقده، وتوهَّموا فيه التجسيم، وهو بريء منه فيما علمت، ولكن لو قَصَّرَ من شأنه لكان أولى به[٤].

قال الإمام عبدالله بن محمد بن علي أبو إسماعيل شيخ الإسلام الهروي: سمعت أحمد بن الحسن بن محمد البزاز الفقيه الحنبلي الرازي في داره بالريِّ يقول: كل ما أُحدث بعد نزول هذه الآية - يعني: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: ٣]- فهو فضل وزيادة وبدعة[٥].

---

(١) تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٩٦).

(٢) تأمَّل أخي القارئ في هذا الكلام من فنَّان التراجم الإمام الذهبي في عبدالرحمن بن منده رحمه الله «فيه خارجية».
أليست هذه الخارجية فيه نَفَسَ التنطع والتشدد على مخالفيه من أهل السنة والحديث، وتطوير النزاع معهم، وإصدار الأحكام الجائرة عليهم، ثم أليس هذا النَفَس الموروث ظاهرًا اليوم على الغلاة في السنة مع مخالفيهم من أهل السنة والحديث، ثم ألا يستحقون أن يقال فيهم: فيهم خارجية، على غرار ما قاله الذهبي في أهل الغلو والتشدّد.

(٣) السير (١٨/ ٣٥٤).

(٤) العِبَر في خبر من غَبر (٣/ ٢٧٦).

(٥) ذم الكلام وأهله (١/ ٢٨٧).

قال الإمام الذهبي تعليقًا على هذه الكلمات: قد كان أبو حاتم أحمد بن الحسن بن خاموش صاحب سنَّة واتباع، وفيه يُبْسٌ وزَعارَّة العجم، وما قاله فمحلُّ نظر.

ولقد بالغ أبو إسماعيل في «ذمِّ الكلام» على الاتباع فأجاد، ولكنه له نَفَس عجيب لا يشبه نَفَس أئمة السلف في كتابه «منازل السائرين»[١].

إيقاظ:

رأينا فيما عرضنا مذاهب غالية متشَنِّجة ظهرت في أزمنة مختلفة في الدهور الخوالي، ولابد أن يكون لهذه المذاهب وُرَّاث؛ فإنَّ الحكمة تقول: «التاريخ يعيد نفسه» فهذه المذاهب منتشرة اليوم في بقاع الأرض.

والواقع أنَّ المنتسبين إلى السنة اليومَ على مسلكين: مسلك الاعتدال والتوسط، ومسلك الغلوِّ والإفراط كما كان التاريخ كذلك سابقًا، ولكن الغلاة إذا ادَّعوا اليوم التوسط والاعتدال، ورفضوا إضافتهم إلى الغلو، فمن يكون - يا تُرى - غلاة اليوم، ورثةَ غلاة أمس؟

ويظهر أنَّ الاحتقان الذي يُظِلُّ غُلاةَ التبديع يُشبه الاحتقان الذي يُسَيطر على غلاة التكفير، فإذا قيل لغلاة التكفير: لماذا تُدَندنون حول تكفير إخوانكم من المسلمين، وتظلمونهم في أديانهم بغير حقٍّ في حين أنَّكم لستم بأحسن منهم إسلامًا علمًا وعملًا= قالوا: نحن نبرأ إلى الله من تكفير إخواننا المسلمين بغير حق، فلسنا خوارج، ولا غلاة تكفير، وإنَّ

---

(١) السير (١٨/ ٥٠٩).

الناس ليظلموننا حين ينسبوننا إلى هذا المنهج، بل نحن لا نكفر إلا من كفر وخرج عن الإسلام، ودلَّت الأدِلَّة الشرعية على كفره، وهكذا غلاة التبديع إذا قيل لهم: لماذا تُبدِّعون إخوانكم من أهل الحديث والسنة المحضة ولستم بأحسن منهم في الواقع علمًا بالسنة وعملًا بها ودعوة إليها =قالوا: نحن نبرأ إلى الله من تبديع أحد من أهل السنة، بل لا نبدع إلا المبتدع الخارج عن السنة الذي دلَّت الأدلة الشرعية على الحكم بأنَّه مبتدع، وقد أخذنا هذا المنهج في التبديع من عالم المناهج والفرق في هذا الزمن الذي لا يُجارى، ولا يَعرف لنفسه خطأ في منهج التبديع، فنحن نُبدِّع من نُبدِّع على منوال تبديع ذلك العالم.

وحين يصل الأمر إلى هذا الحدِّ فلا بديل من إغلاق أبواب الحوار مع من مَسَّه داء الغلوِّ، وتفويض الأمر إلى ربِّ السماء والأرض، وانتظار عدله يوم تجتمع الخصوم لديه، ويحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

وليَضْرَعْ إلى الله كثيرًا من حفظه الله من مَعَرَّة الغلوِّ، وجرب الجفاء أن يديم عليه نعمة التوسط والاعتدال، فمن يدري لعلنا وصلنا إلى الزمن الذي تحدَّث عنه الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما فيما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن حذيفة قال: «ليأتينَّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق»[١].

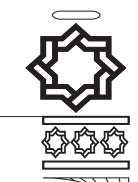
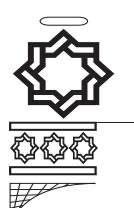
فالسعيد الموفَّق من سلك سبيل الاعتدال علمًا وعملًا، لا ادعاءً

---

(١) المصنف (١٥/ ٩١).

وتشبعًا فيما يتعلق بالسنة والبدعة، واجتنب بُنَيَّات الطريق إفراطًا وتفريطًا، وغمد لسانه عن تبديع العلماء المشهود لهم بالسنة والاعتدال والإنصاف، فقد يكون بسط اللسان فيهم بالتبديع والتضليل مجلبة للحرمان في ميدان العلم، وإفلاسًا في سوق العمل. وفَّقنا الله وإيَّاكم لاتباع السنن واجتناب البدع.



خاتمة القسم الأول من هذه الرسالة

أختم هذا القسم بخمسة إيقاظات:

۞ الإيقاظ الأول:

إنَّ الردَّ على أهل البدع والأهواء الحقيقية - ليست الموهومة الصِّرْفة - شعبة من شعب الجهاد في سبيل الله، وباب من أبواب الحفاظ على بقاء نقاوة هذا الدين وسلامته من البدع والأهواء. فعلى من يُعاني هذا الشأن ويلج هذا الباب أن يستحضر هذه الشروط قبل معاناته؛ ليرضَى عنه رَبُّه، وينجع رَدُّه، ويتمَّ أجره، وهي: النية، والعلم، وتحرِّي العدل في ردِّه، وإلا فلا يَتَعَنَّ.

قال شيخ الإسلام: لكن هذا(١) له شروط:

أحدها: حسن النية(٢)، وقصد وجه الله، لا نوعًا من الأهواء؛ فإنَّ

---

(١) يعني الكلام في أهل البدع.

(٢) هاهنا قصة مدمعة في أثر النية صلاحًا وطلاحًا. قال الإمام الحافظ عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن شرف الدين أبو محمد الدمياطي: قرأت في كتاب «كرامات الأولياء» لأبي نصر الحافظ قال: ثنا الإمام أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن مَنْدَه، أنبأ أبو القاسم إبراهيم بن محمد العدل فيما أجاز لي، ثنا محمد بن عمر الذَّهبي، ثنا محمد بن الحسن الأنباري، ثنا علي بن التركي، أخبرني علي بن الموفق العابد، وسمعته يقول: رأيت ربَّ العزة في المنام، فقال لي: يا =

للشيطان هنا [مداخل] كثيرة.

والثاني: أن يكون الكلام بعلمٍ ومعرفةٍ.

والثالث: أن يتحرَّى الحقَّ والعدلَ؛ فإنه موضع خطر، فمن لم يتكلَّم بعلمٍ [وعدلٍ] بل بجهلٍ أوظلمٍ.. كان بمنزلة من يحدِّث، أويفتي، أويحكم، أويجادل، أويشهد بلا علمٍ، أوبلا عدلٍ[1].

الإيقاظ الثاني:

إنَّ السنَّة منهج حياة المسلم السائر على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه اعتقادًا وعملًا، فكل من كان على هذا النهج فهومن أهل السنَّة في مشارق الأرض ومغاربها مفسرًا كان أومحدِّثًا أوفقيهًا أونحويًا أوتصريفيًا أوعاميًّا، وليست حكرًا لعصابة معيَّنة، ولا حاجة بأيِّ مسلم أن يستخرج صكوك تَسْنين من أيِّ أحد، أو من أيَّة عصابة، كما لا حاجة به أن يعرفه فلان أو علَّان؛ روى أبوبكر البيهقي عن خرشة بن

= علي تكلم. فقلت: أَغفرت لي؟ فقال: بماذا؟ فقلت: بوقوفي خمسًا وستين سنة في الموقف. قال لي: ما قبلت منها ولا خطوة. قال: فقلت: بقيام خمس وستين سنة؟ قال: ما قبلت منها ولا ليلة. قال: فاشتد بُكائي وشهيقي، قلت: فتلاوتي القرآن خمسًا وستين سنة؟! قال: ما قبلت منها ولا آية. قال: فاشتد شهيقي وبُكائي. فقال: تكلم يا علي. فقلت: يا رب أتغفر لي؟ قال: نعم. قلت: بماذا؟ قال: خرجْتَ في يوم مطرٍ تطلبُ الصلاة الوُسْطى، وهي العصر، فانبلَّ ثَوْبُك على بدنك، فاطلعت على قلبك فلم أجد فيه غيري، فغفرت لك. كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى: (ص٨٨- ٩٠).

(١) جامع الفصول (٢٠٣).

الحرِّ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل: لست أعرفك، ولا يضرُّك ألَّا أعرفك[١].

إنَّ القضيَّة قضيَّة معان تتوفَّر في شخص أو في طائفة وكفى. وهذا أمر بدهيٌّ جدًّا في غنى عن مماحكة ومساجلة، بيد أنَّا في زمن أُلحقت بدهيات بحدسيَّات.

والحاصل أن الأصل بقاء ما كان على ما كان؛ فإنَّ الحقائق الثابتة لا ترفعها أعاصير الخيالات في أدمغة الغُلاة، وأن تسنُّنَ أهل السنة والحديث المظلومين في دينهم من قبل الغلاة ثابت إن شاء الله ثبوت الجبال الرواسي.

ولو وقع الكفر على من كفَّره غال في التكفير، أو وقعت البدعة على من بَدَّعه غال في التبديع، أو وقع الفسق على من فسَّقه غال في التفسيق.. لما بقي شيء من عصمة إسلام مسلم، ولا تسنُّن مُتسنِّن، ولا معدلة عادل في دينه. سبحان الله! ومتى كانت آراء الغُلاة معايير لآراء الآخرين، وصارت أفهامهم دينا يُدان به، يُستباح به العرض المصون بالشرع الحنيف، وينتهك به الحِمى المحظور.

۞ الإيقاظ الثالث:

إنَّ العاقل ليضنُّ بوقته فلا ينفقه في تتبع العثرات، وبجهده فلا يصرفه في الركض وراء أخبار الناس، وفي الفحص عن أحوالهم، ويربأ بنفسه عن مشابهة أبي دُلَف، ومشاكهة الذِّبَّان، ومشاكلة أبي مَذْقَة.

---

(١) السنن الكبير (٢٠/ ٣٧١).

قال شيخ الإسلام سفيان بن عيينة أبومحمد الهلالي في تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]: و ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من شبه البهائم، فمنهم من يهتصر اهتصار الأسد، ومنهم من يعدوعدوالذئب، ومنهم من ينبح نباح الكلب، ومنهم من يتطوس كفعل الطاوس، **ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقي لها الطعام الطيب عافته، فإذا قام الرجل عن رجيعه.. ولغت فيه، فكذلك تجد من الآدميين من لوسمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، وإن أخطأ رجل عن نفسه، أوحكى خطأ غيره .. تَرَوَّاهُ وحفظه.**

قال أبوسليمان الخطابي: ما أحسن ما تأول أبومحمد رحمة الله عليه هذه الآية، واستنبط منها هذه الحكمة، وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمه مطاوعا لظاهره.. وجب المصير إلى باطنه.

وقد أخبر الله تعالى عن وجود المماثلة بيننا وبين كل دابة وطائر، وكان ذلك ممتنعا من جهة الخلقة والصورة، وعدما من جهة النطق والمعرفة، فوجب أن يكون مصروفا إلى المماثلة في الطباع والأخلاق. وإذا كان الأمر كذلك.. فاعلم يا أخي أنك إنما تعاشر البهائم والسباع، فليكن حذرك منهم ومباعدتك إياهم على حسب ذلك[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنَّ الجاهل بمنزلة الذباب الذي لا يقع إلا على العقير، ولا يقع على الصحيح. والعاقل يزن الأمور جميعا[٢].

---

(١) العزلة، لأبي سليمان الخطابي (ص٢٥٩).

(٢) منهاج السنة (٦/ ١٥٠).

وَكُنْتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ(١)

۞ الإيقاظ الرابع:

الأصل في المسلم أن يكون يقظًا عارفًا بزمانه؛ فإنَّ هذا الزمان شاع فيه التدليس والتمويه، ونجم فيه الغلو في التبديع، والإسراف في التجريح لدى بعض الطوائف التي تزعم انحصار السنة في صفوفها، والبدع في غيرها، فلا تثقنَّ بكلٍّ من يرفع عقيرته بادِّعاء السنة لطائفته، وسحبها عن غيرها، ولا تَسْتَسْمِنَنَّ الأورام، ولا تُلْدَغَنَّ من جُحر العبارات الرنَّانة، ولا الكلمات المعسولة: الغيرة على السنة، والتميز عن أهل البدع، والرد عليهم، وما أشبه ذلك من المقالات التي تحتها أفاعٍ، فاحذر أن تلدغك هذه الأفاعي، فتسري سمومها في نفسك، فتصاب بمرض الغلو من حيث لا تدري.

وأظن - والله أعلم - بالقرائن المثيرة، والأمارات الدالَّة أنَّ بعضًا من هؤلاء ممن يتزعَّم هذا البلاء =مغروسون بين صفوف أهل السنة والحديث من قبل أبالسة الإنس؛ لحفظ عروشهم وقصورهم، وتمزيق وشائج التحابب والتآلف في صفوف أهل السنة، وإغراء بعضهم ببعض عن طريق دندنة هؤلاء ببيان خطر أهل البدع، وخطر الخروج على الحكَّام، ونحوذلك من العبارات التي تُخدم بها دنيا الآخرين.

---

(١) أحال على الدَّم: أقبل عليه يلغ فيه. يُقال: إنَّ الذِّئب القويَّ إذا أصابه خدشٌ يسير في جسده تحدث لصاحبه الضَّعيف جراءةٌ عليه حتى يثب عليه فيأكله.

وما كل ما يعرفه الإنسان يقدر أن يُخبر به.

وربَّ متباكٍ على السنَّة مُدَّعٍ الغَيرةَ عليها، صيَّاحٍ بذمِّ أهل البدع، نعَّاقٍ بتعيير الحزبيَّة، وقُصارى أمره أن يكون وفْدَ الشيطان. أُفٍّ وتُفٍّ لضياع الأعمار بظلم الأخيار.

قال الإمام أبوعمر بن عبدالبر: روينا عن عبدالرحمن بن أبي نعم أنه قال: كنت جالسا عند عبدالله بن عمر، فجاءته امرأة، فقالت: يا أبا عبدالرحمن، إن زوجي توفي، وأوصى بمال في سبيل الله، قال: هو في سبيل الله كما قال.

قلت: إنك لم تزدها إلا عَمًى قد سألتك فأخبرها، فأقبل علي، فقال: يا ابن أبي نعم، أتأمرني أن آمرها أن تدفعه إلى هذه الجيوش الذين يخرجون فيفسدون في الأرض، ويقطعون السبيل.

قال: فقلت: فتأمرها بماذا؟ قال: آمرها أن تنفقه على أهل الخير، وعلى حجاج بيت الله، أولئك وفد الرحمن، ليسوا كوفد الشيطان، يكررها ثلاثا.

قلت: وما وفد الشيطان؟ قال: قوم يأتون هؤلاء الأمراء فيمشون إليهم بالنميمة والكذب، فيعطون عليها العطايا، ويجازون عليها بالجوائز[(١)].

ما أشبه الليلة بالبارحة! إن كان ذلك القرن الفاضل الخيّر بشهادة رسول الله ﷺ مُصابًا بأمثال هؤلاء العناصر .. فكيف لا يكون هذا

---

(١) التميهد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٨/ ٤١٧).

الزَّمان البائس مصابًا بأمثال هؤلاء، وبشرٍ منهم.

وصنف آخَر من الغلاة أُتُوا من قِبل ظلمهم لمسلم مرة، فلم يتوبوا منه حتى تراءى لهم في الظلم شبهة، أو شهوة من مال، أو جاه، فطاروا إليه، فقال ظلم آخَر بجنبه: تعالَ فاعملني أيضًا، حتى صار ظلمهم للأبرياء هيئة راسخة في أنفسهم لا يستطيعون الانفكاك عنه.

قال بعض السلف: إنَّ من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإنَّ من جزاء السيئة السيئة بعدها[١].

ألم ترَ إنسانًا خنق عُشْرَ التسعين من عمره، ولا زال يظلم الأبرياء، فيوزِّع التضليل على غير مستحقّيه، والتبديع على منكريه، ولا يرعوي عن هذا الظلم مع هذا العمر المرهق.

هذا، وقد ظَفِر الغلاة بشيء مما سعوا إليه، واجتهدوا فيه من التمزيق والتفريق في صفوف بعض أهل السنة والحديث في مشارق الأرض ومغاربها. والله المستعان.

قال التابعي الجليل يحيى بن أبي كثير أبو نصر الطائي: إن صاحب النميمة ليفسد ما بين الناس في يوم ما لا يفسده الساحر في شهر [٢].

ولكن هل ينتظر من زرع الإِحَن إلا أن يحصد المِحَن، وأن يُدان بالدينونة التي بها يدين، وأن يُكال له بالكيل الذي به يكيل، فقد دبَّت

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٦).

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي (٧/ ٤٩٥).

إليهم عقارب تمزيقهم، وشَرُّ تفريقهم، فَمُزِّقوا كُلَّ مُمَزَّق، وتفرَّقوا شذر مذر متدابرين متباغضين.

وما ربك بظلام للعبيد. وهذا ظاهر للناظرين في واقع الدعوات والدعاة.

ولم أعلم مع نظري في الأفكار الهائجة والمذاهب الغالية المعاصرة عصابة تنتسب إلى السنة والحديث أكثر تفرقًا منها، وأعمق انشقاقًا ونزاعًا في ما بينها مع التشدُّق بالتآلف والاجتماع والتراحم والتعاطف في ما بين أهل السنة والحديث، ولكن لما باينت أقوالها أفعالها، وناقض ادِّعاؤها واقعها.. لم تغن عنها أقوالها قطميرا، وأضحت أقوالها مجرد جعجعة لا طِحْنَ تحتها، واجترار كلمات لا أثر لها.

ولو لم يكن في أطاريح القوم عنصر فاسد مفسد من سوء قصد.. لما انتهت حالهم إلى هذا الواقع الذي لا يحسدون عليه.

تلك آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ولم أر خلافًا يفجِّر تفرقًا، وخصومات تنشأ عنها عداوات في صفوف أهل السنة والحديث في مشارق الأرض ومغاربها إلا كان متزعِّم هذه العصابة الطرف الرئيس المحرِّك لهذا الخلاف، سبحان الله كأنَّه يعشق التفرق مع ادِّعائه بأنَّه داعية المصالحة، حيث قال: «وإذا رأيت اثنان[١] من السلفيين يختلفون أحاول أن أُلِّف بينهم، وأصالح دائمًا بين

(١) كذا.

السلفيين، يفترقون في أندونيسيا أصالح بينهم، في فلسطين أصالح بينهم، في المغرب أصالح بينهم، في أيِّ مكان أصالح بينهم، قصدي أن لا يختلف السلفيون»[١] وأولى ما يقال عن مثل هذا التناقض السافر بين الواقع والادِّعاء: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

وإن عكست ظفرت بالواقع، فما هذا الزعم إلا حبر على ورق، وأحبولة يصطاد بها الذي اغتال عقله الغلو والحذلقة والتطاول على الآخرين.

ومن مُغَرِّبَةِ خَبرٍ أن كبير العصابة المناهضة للجماعات الإسلامية يتزَعَّم هو الآخَر على جماعة يُوَلِّي أمراءها، ويعزل ولاتها، ويُشَبِّه إمارته بإمارة أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يا لَهول الانتفاخ والتعاظم! إنَّ إمارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه واجبة السمع والطاعة في موارد الاجتهاد، فضلًا عن موارد النصوص، وأما إمارته المزعومة فلا سمع لها ولا طاعة، ولا كرامة. فاقرأ هذا الحوار الذي جرى هاتفيًّا بين ذلك المتزعِّم، وبين أحد مريديه في دولة العراق:

«السائل: شيخنا الذي وصلنا منكم أن [فلانًا] أمير العراق؛ هذا الذي بلغنا، هذا الذي نعلمه؟

الشيخ: نعم أمّرته، أمّرته على العراق، ولكن طلع شيء ثاني؛ فماذا أصنع؟!

(١) انظر كتاب: الحق المنجلي (١١٧).

كان عمر يولي واحدًا على البلاد، وبعدين لما يشوف فيه شيء[١] يعزله؛ أجبتك أم لا؟!

السائل: وما الذي ظهر في [فلان]؟

الشيخ: هذا ليس أميرًا على السلفيين - أبدًا - لا إمارة له - أبدًا -؛ لأنه على الباطل! والباطل كثير وكثير وكثير، منها: - واحد - أنه مع «علي حسن» و«علي حسن» يفرق السلفيين في العالم وهو معه»[٢].

ومن مظاهر انتفاخ ذلك المتزعِّم وتعاظمه - والشيء بالشيء يُذكر - ركضُه وراء محمدة الناس له، واختياره لأسوإ العبارات في التضليل والتبديع لمن لم يغرف له الثناء من جفنة حبه له.

قال ذلك المتزعِّم حالفًا بالله على الكذب الصُّراح: «والله! والله! إنَّ أبا الحسن، وعدنان عرعور أسوأ من سلمان بمئات المرَّات، أفجر وأكذب وأخسُّ وأخبث»[٣].

سبحان الله ما أسهل عليه الحلف بالله ﷻ كاذبًا!

وقال المتزعِّم عن التلميذ المقرب من الشيخ الألباني رحمهما الله رحمة واسعة الشيخ علي حسن الحلبي: «من أَحَطِّ أهل البدع. إذا لم يكن علي الحلبي مبتدعًا فلا يوجد على وجه الأرض مبتدع»[٤].

---

(١) كذا.

(٢) انظر كتاب: الحق المنجلي (٨٧).

(٣) انظر كتاب: صدُّ التشنيع (١٦٩).

(٤) انظر كتاب: سلسلة ردود (٢٣٨).

ووصف فتنة علي حسن الحلبي - على حدِّ تعبير المتزعِّم - بأنها «أشدُّ من فتنة خلق القرآن»[١] وكأنَّ المتزعِّم لا يدري عمَّا يخرج من رأسه، فتنة خلق القرآن دعوة إلى الكفر البواح، فهل في الدنيا دعوة أشدُّ من الدعوة إلى الكفر البواح! وهل بعد الكفر بالله ذنب! وقد يكون من حيثيات تهافت هذه الأحكام عليه أنه لا يكيل له الثناء، قال ذلك المتزعم عن الشيخ علي حسن الحلبي: «الآن هو يُجَرِّحني، ولا يثني عليَّ علي حسن»[٢].

وقال عن الشيخ عدنان عرعور تلميذ الشيخ الألباني ﵀: «وأخشى أن يكون زرعة من زرع أعداء الله لتحقيق أهداف خبيثة؛ لأن الأعداء يهود ونصارى يعرفون أنَّ الدين الحقَّ إنّما هو هذا الحق الذي يدين به السلفيين[٣] فيسعى في تفريقهم وتمزيقهم»[٤].

وقد جرى بيني وبين زميل لي - كان - حوار مصغر يومًا، فقلت له: كيف أقبل وأقنع نفسي بأن الشيخ علي حسن الحلبي من أحطِّ أهل البدع. إذا لم يكن علي الحلبي مبتدعًا فلا يوجد على وجه الأرض مبتدع! على حدِّ تعبير مُتزعِّم القوم.

فقال: «يَتَقَهْوَى مع جمعية إحياء التراث الإسلامي» في الكويت! فسكتُّ إعراضًا عن الاسترسال في عقيم الحوار.

---

(١) انظر كتاب: سلسلة ردود (١٨٩).

(٢) انظر كتاب: صدُّ التشنيع (١٥٠).

(٣) كذا.

(٤) كتاب: الحق المنجلي (١٠٢).

وإذا وصل الحوار إلى مثل هذه المحطَّة فما على المرء إلا أن يُوقف مثل هذا الحوار ويغلق بابه، ويُقبل على شأنه، ويُصلح حاله، وكفى.

الإيقاظ الخامس:

إنَّ الغيور على السنَّة النبوية المحب لها الواعي لأخبار دعاتها وظهور دعوتهم = يرى أنَّ القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر من الأزمنة الذهبية للسنة النبوية حيث تم شرح معالمها، وعرض مذاهبها، والاقتداء بها، ونشر أسفارها وتداولها حتى أنجدت وأتهمت، ودخلت في مشارق الأرض ومغاربها، وأقبل إليها الناس إقبال الظمآن للماء البارد؛ لتظافر الأدلَّة النقليَّة لها، وشهادة العقول السليمة، والفِطَر الصحيحة لها، وتآلف أهلها، وتكاتف دعاتها، وتعاونهم في بثِّها، حتى أفرَح ذلك نفس كل مسلم سُنِّي، وأثلج قلبه، واستبشر كل سنِّي بالتمكين الكامل لأهل السنة والحديث، واكتساح دعوتهم دعوات أهل البدع والأهواء.

ثم وقع قضاء الله الذي لا رادَّ ولامعقِّب له بتقهقر دعوة أهل السنَّة بعد تقدُّمها، وانقباضها بعد انبساطها، وأسباب ذلك كثيرة، ومن تلكم الأسباب أن نجمت ناجمة، ونبتت نابتة بين صفوف أهل السنة والحديث في العقد الثاني والثالث والرابع من هذا القرن الخامس عشر حملت همَّ التبديع البائر، والتضليل العائر لطوائف من أهل السنة والحديث، فشغلوهم عمَّا هم بصدده، وأشبعوهم طعنًا وجرحًا، حيث نصبوا أنفسهم حُكَّاما عليهم أوصياء إليهم، فلم يلتفت أهل السنة

المظلومون من قِبلهم المفترى عليهم إلى أحكام هؤلاء التي أسرفوا فيها على أنفسهم، ورفضوا وصاتَهم؛ لغناهم عن وصايا أمثال هؤلاء، ومن هنا اشتعلت نار الحرب الضروس في صفوف أهل السنة، فتفرقت القلوب، وتكدَّرت المشاعر، وحَلَّ محلَّ المحبَّة العداوات، ومحلَّ التجمع والائتلاف التشرذم والتفرق.

وأهل السنة والحديث اليوم في العقد الخامس من القرن الخامس عشر يعيشون في أجواء الفتن وأحوال الافتراق. والله وحده سبحانه وتعالى القادر على إصلاح الأحوال، وكبح جماح الشر، وإظهار دعوة أهل السنة وإعزازها على ظهر المعمورة.

وتفسير هذا الواقع الأليم أنَّ الله ﷻ جعل في هذا الكون سننًا، ومن تلك السنن ارتباط المسبَّبات بالأسباب، فإذا أراد الله وجود مسبَّب قدَّر له السبب الذي يتمُّ به المسبَّب قضاء وقدرًا. فلما أراد الله انتشار سنة رسول الله ﷺ بعد وفاته جعل في أصحابه ﷺ هممًا تنال الثُّريَّا، فنشروا الإسلام الصافي في مشارق الأرض ومغاربها، ثم خَلَفهم التابعون لهم بإحسان وتابعو التابعين، ثم خلفهم خَلَف صدق لخير سلف، فكان في كل جيل أعلام الهدى وأنجم العلا الذين تقوم بهم حجَّة الله على خلقه إلى هذا القرن الذي نعيشه.

ولما أراد الله ابتلاءً انجزار السنة النبوية بعض الانجزار كان من أسباب ذلك، بل كِبْر الأسباب ظهور غلاة التبديع والتجريح الذين شغلوا أنفسهم وشغلوا غيرهم بالحروب الداخلية والفتن المدمِّرة،

فغرسوا العداوات بين المتحابين، ونشروا الفرقة بين المتآلفين، فكان ذلك كِبْر أسباب انكماش انتشار السنة النبوية، والله المستعان.

وهذا أشبه ما يكون بالجهاد في سبيل الله ﷻ؛ فإنَّ المسلمين إذا كانوا متحابين متآلفين داخليًا متماسكين جاهدوا في سبيل الله، ونشروا الإسلام، ووسَّعوا رقعته، وإذا برزت بينهم العداوات انشغل بعضهم ببعض، وكاد بعضهم لبعض، واشتعلت الحروب الداخلية والفتن الأهلية، فذَلُّوا وَغُزُوا في عُقْر دارهم، كما هو الواقع المرير اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

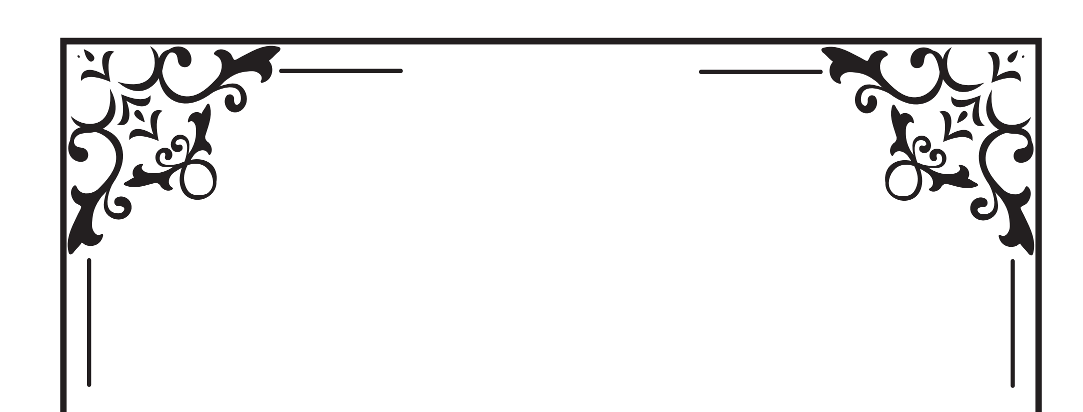
وبعد، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣] فمن كان صادقًا في محبة انتشار سنة رسول الله ﷺ في ربوع الأرض، والمحبة المتبادلة بين طوائف أهل السنة والحديث.. فليسلم من قول قلبه وقول لسانه = إخوانه من أهل السنة والحديث، وليحذر قولا وعقدا جِهارا وسِرارا من الكلمات العوراء التي طالما كاد بها إبليس أهل السنة والحديث في ما بينهم، وألقاها في صفوفهم، ففرق بها جمعهم، وزرع بها العداوات: أنا سنِّيٌّ، وأنت بدعيٌّ، وأنا سلفي وأنت حزبي! وليربأ بنفسه عن المشاركة في أيَّة معركة خدَّاعة برَّاقة في صفوف أهل السنة والحديث بأيِّ لون تتلوَّن، وبأيِّ اسم تظهر؛ فإن الاستئساد ببعض أقوال علماء أهل السنة على أهل السنة، والتنمُّر ببعض مواقفهم باللَّدغ تضليلا وتبديعا وتجريحا = لن يحقق انتصارا للمستأسدين والمتنمرين على إخوانهم، ولن يعيد لأهل السنة

والحديث مجدهم ومكانتهم واجتماعهم وظهورهم قطعًا. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه نصيحتي لكل شادٍ في طلب العلم يحب السنة النبوية، وقد لا يكون عنده خبر عن الماجَرَيات، ولم يعش نشوء غُلوِّ الغُلاة، ولا غليان التبديع والتفسيق في تلك العقود.

علَّق الإمام البخاري في «الجامع الصحيح» قبل (ح ٧٢٧٥) ووصله الإمام هبة الله بن الحسن بن منصور أبو القاسم اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم» أثر (٥٠) عن الإمام القدوة التابعي الجليل عبدالله بن عون بن أَرْطَبان أبي عون البصري (ت: ١٥١) قال ﷺ -و اللفظ للبخاري -: ثلاث أُحِبُّهُنَّ لنفسي ولإخواني: هذه السنة أن يتعلَّموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهَّموه ويسألوا عنه، ويدعوا الناس إلا من خير. ولفظ اللالكائي: ثلاث أحبهن لنفسي ولأصحابي، فذكر قراءة القرآن والسنة، والثالثة أقبل رجل على نفسه، ولَهَا من الناس إلا من خير.





وصية جامعة

ملحق في «وصية جامعة» من مخطوطة نادرة

للإمام الحافظ مؤرخ الإسلام

محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين أبي عبدالله الذهبي

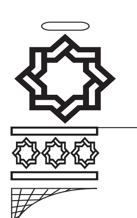
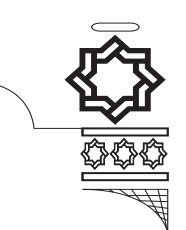
اعتنى بها:

أحمد بن حاج محمد بن عثمان

(الشيخ أحمد إمام)





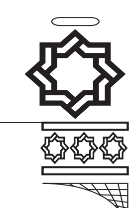



وصف نسخة الوصية

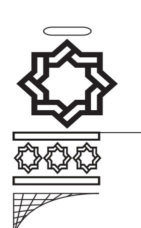
اعتمدت في نشر هذه الوصية على نسخة يتيمة في ورقة واحدة، وقعت الغاشية الثانية لكتاب الإمام الذهبي «المعجم المختصُّ» والغاشية الأولى لهذا الكتاب مبحث ماتع في ورقة واحدة أيضًا للإمام الذهبي، وهو عبارة عن تقويم قراءة قراء الحديث في عصره.

والوصية في ورقة واحدة، أسطرها (**٢٣**) سطرًا، كتبها خطيب المسجد الأقصى المفتي المدرِّس فيه إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن جماعة عماد الدين، أخو بدر الدين بن جماعة (ت: ٧٧٦).





نص الوصيّة



قال إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن جماعة (ت: ٧٧٦): ووجدت أيضًا بخطه [يعني الإمام الذهبي] ما صورته:

رأيتُ أناسًا من أهل الحديث والفقه فيهم خيرٌ ودينٌ وصفاتٌ حميدة، وبعضهم أدينُ من بعض، والكمال عزيز.

ولكن من أثنى عليه جمهور الأمة وأهل التقوى والورع فهو العدل الدَّيِّن. وكذلك من ذمَّه الجمهور ونالوا منه ونقموا عليه أمورًا تفسِّق، فليس بديِّنٍ ولا عدل.

فلا يغترَّ الرجل بثناء بعض الناس إذا علم من نفسه عيوبًا وذنوبًا تخفى، بل ليجدِّد توبةً وإنابة.

وكذلك لا ينتصر لنفسه ويزكِّيها، أو يتألَّم ممَّن حطَّ عليه. فرحم الله من نبَّهني على عيوبي، «**المؤمنُ مرآة أخيه**»[1]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العَصر: ٢-٣].

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٩) وأبو داود (٤٩١٨) والبزار في المسند (٨١٠٩) من حديث أبي هريرة.

فمتى رضي المرء بالمداهنة[١]، وأحبَّ من يثني عليه فيما يُكَاشِرُه[٢] ضاعت المصلحة، وكان خصمًا لله على نفسك.

ولا يُصَادِقْها[٣]، كما قيل: «المؤمن عن عيوبه فتَّاش»[٤]، فتَّش وراقَبَ ثم حاسَب نفسَه قبل أن يُحاسَب، ثم سدَّد وقارَب، وللسَّيئات جانَب.

ثم أكثَر من الاستغفار، ومقَت نفسَه في الله، وبكى على خطيئته، وعَمِل حسناتٍ تمحو[٥] إجرامه، وكان ذا نصيبٍ من تلاوة وذكرٍ وتصدُّقٍ بما أمكن، ووصَل رَحِمَه.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «والمداهنة المذمومة أن يكون فيها تزيين القبيح وتصويب الباطل ونحو ذلك». فتح الباري (٢٣/ ١٠٤).

(٢) يقال: كَشَر عن أسنانه يَكْشِر كَشْرا إذا أبدى، يكون في الضحك، وقد كاشره إذا ضحك في وجهه وباسطه. تاج العروس من جواهر القاموس (كشر) قال الإمام البخاري: ويُذكر عن أبي الدرداء: إنَّا لنكشر في وجوه أقوام، وإنَّ قلوبنا لتلعنهم. الجامع (٨/ ٨٦).

(٣) لا يتخذ نفسه صديقة له، ولا يرخي لها حبل الإهمال، بل يقيمها على سواء السبيل.

(٤) قال الإمام القدوة السَّرِيُّ بن المُغَلِّس السقطيُّ أبو الحسن البغدادي: من عَرف الله عاشَ، ومن عرف الدنيا طاشَ، والأحمقُ يغدو ويروح في لاشَ [يعني لا شيء] والعاقل بخواطر نفسه فتَّاش. الطيوريَّات (٣/ ١١١٤) أثر (١٠٣١) وفي لفظ له: والعاقل عن عيوبه فتَّاش. إحياء علوم الدين (٨/ ٥٨٦).

(٥) في الأصل: يمحوا.

قال ﷺ: «**اتَّق الله حيثما كنت، وأتبع السَّيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالِق الناسَ بخلقٍ حسن**»(١).

هذه وصيةٌ جامعة، فتأمَّلها والزَمْها، فكم من عبد صالحٍ عابدٍ له خُلُقٌ زَعِرٌ(٢) هو منه في عناء، والناس منه في بلاء!

فالخُلقُ السَّيِّء يُفْسِد العملَ كما يُفْسِد الخلُّ العسل، وربَّ رجل مسرفٍ على نفسه له خلقٌ رَضِيٌّ وتواضعٌ قد أنسى هنَاتِه، كما أن السَّخاء والفتوَّة تغطِّي عيوبًا جمَّة.

عليك بتقوى الله سرًّا وإعلانًا، واستحْيِ من الله حقَّ الحياء، والزم الذُّلَّ والخشية، وإياك والكِبْر والعُجب، فقبَّح الله العُجبَ والدَّعوى.

فترى العالِم الكثير الدَّعاوى ممقوتًا تمجُّه النفوس، وترى الكريم المنفِق لغير الله ثقيلًا على النفوس، وترى العابد الصالح الذي يلوِّح بأنه من الصُّلحاء قد اشمأزَّت منه القلوب، وترى القوَّال بالحق إذا أُعْجِب بنفسه قد تفرَّغ الرجالُ لمُنَاقَدته وكرهوه.

ولا بدَّ من الإخلاص التامِّ في العلم والعمل، والقول والبذل والتعليم، وإلا دخل على العبد الدَّاخِل، وانكشف للناس ولو بعد حين.

فإن كان في العبد إخلاصٌ في وقتٍ وتصنُّعٌ في وقتٍ أحبَّه الناسُ بحسبه من وجهٍ دون وجه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النِّسَاء: ٤٠].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢١٣٥٤) والترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر.

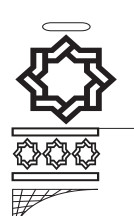
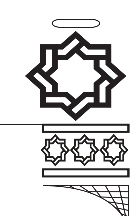
(٢) يقال: زَعِرَ الخُلُق زَعَرا إذا ساء. والزَّعارَّة الشَّراسة وسوء الخلق، يقال: في خلقه زَعَر وزعارَّة. تاج العروس «زعر».

فالزم الصَّمتَ والتَّواضع، والْحَظْ نفسك بعين النَّقص وإن كنتَ ذا صِدق، وانظر إلى إخوانك بعين الرأفة والرحمة وإقامة العُذر، فما لكَ مثل الاندحاض(١) وذمِّ نفسك.

رزقنا الله وإياك الإنابة والتوفيق. انتهى.



(١) الاندحاض مصدر اندحض مطاوع دحض، يقال: دَحَضْتُ حُجَّة فلان، فاندحضت، فهي مندحضة: زالت وبطلت. نقل الإمام الذهبي عن المدَّعي للتصوف شيخ الطائفة الحريريَّة الغاوية الإباحيَّة علي بن أبي الحسن بن منصور الحريري = قوله: أعلى ما للفقير [يعني المتصوِّف] الاندحاض. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير (١٤/ ٥٢٦) ويعني الحريري بقوله أنَّ على المتصوف أن يخفض نفسه ويُعنَى بإصلاحها وإبطال استشرافها واستعلائها.

فهرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

